الرسالة

مجلة اسبوعية … لوم والفنون

السنة السادسة

العدد ٢٥٦

6me Année, No. 256 — Lundi - 30 - 5 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٥٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٧ — ٣٠ مايو سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

حول اقتراح وزارة المعارف

توحيد الثقافة العامة

ونريد بالثقافة العامة القدر المشترك من المعرفة بين النشء في طوري التعليم الابتدائي والثانوي . وهذا القدر أشبه بالغرار يُطبع عليه آحاد الشعب فيتحدون في الهوى ويتفقون في الطبع ويتقاربون في الرأي ويتسايرون إلى غاية واحدة تتجه إليها القوى وتصلح عليها الجماعة . وهذا المثال أو المنوال فقدته مصر والعالم العربي منذ اقتبسنا المناهج الحديثة في التعليم ، والنظم الأوربية في الحكم ، فكان في كل قطر من أقطار الإسلام ثقافتان مختلفتان في الخطر والأثر ، إحداهما تقوم على الدين المشروع والسنة الموروثة وما يتصل بهما من خصائص الجنس وتقاليد الشرق وأساطير التاريخ ، والأخرى تقوم على أساس سطحي من أدب الغرب ومدنيته وعقليته ونظمه . والثقافة الأولى غالبة لصدورها عن الفطرة والعقيدة والوراثة والبيئة . أما الثانية فكانت لنبوها عن الطباع تنال العقول والقلوب في أناة ورفق ، وتغزو الرسوم والأوضاع في حذر وحيطة ، حتى تم للغرب فتح الشرق فنشر فيه حضارته وثقافته بالإيحاء والإغراء والقوة .

وهنالك أخذ التنازع بين هاتين الثقافتين يفعل فى الحياة فعله ، فغير الوجهة وعوّق السير وشعَّب الرأى وشتت الوحدة ؛ فلم يكن للقائمين على سياسة التعليم بد من الطب لهـذه العلة تفادياً لما ظهر من سوء أثرها فى سياسة الدولة وإنهاض الأمة

وهاهى ذى وزارة المعارف تفكر أخيراً فى توحيد القالب الثقافى فى المدارس المدنية والمعاهد الدينية على وضع لاتزال تفاصيله مجهولة ، لأن الفكرة ما برحت تتردد بين دار الوزارة وإدارة الأزهر . فإذا عرضنا لها اليوم فإنما نعرض للأساس الذى لا يتغير فى التفصيل ولا فى الجملة :

ليس بسبيلنا أن نبحث في أى الثقافتين أدنى إلى الإصلاح وأولى بالأخذ ، فإنا نؤمن بأن لقانون التطور حكما لا يدفع ، وأن للتلاقح الاجتماعى بين الحضارات والثقافات أثراً لاينكر فى تمدن الإنسان وتقدم العالم . ولكننا نعتقد أن تغليب التعليم المدنى بمنهاجه الحاضر على التعليم الدينى أمر لا يُعقبُ غير الضرر ؛ فإن التعليم المدنى لايزال عاجزاً يتلمس طريقه المطموس بين الاضطراب والفوضى ، لايقف عند تقليد ، ولا يطمئن إلى تجربة ، ولا يستقر على نظام . وقد أسفرت أكلافه وجهوده مدى نصف قرن عن جيل مشيأ (١) الخلق مشوش العقل ناقص الكفاية مشكل الوضع ، فلا هو قارى ولا أميّ ، ولا هو شرقي ولا غربى ، ولا هو دينّ ولا ملحد . وقدوسمه كلُّ عمل بالعجز، ورماه كل مشروع بالفشل ، فلم يستطع إلا بث الضجر فى الناس ، ونشر الفساد فى المجتمع ، وإشاعة السخط على الحياة .

وأما التعليم الدينى فكان على جموده وقصوره أهدى سبيلاً إلى الإصلاح ، وأرجى منفعة للأمة ؛ فقد دأب دهره الطويل بثقف الأفئدة ، ويقوّم الألسنة ، ويزود أتباعه بالأسلحة المواضى لمحاربة الرذيلة والأمية ، فيرجعون إلى قومهم فى المدن والقرى والضياع يتغلغلون فيها تغلغل النيل ، فيرشدون الغوى ، ويعلمون الجاهل ، ويؤاسون المصاب ، وينشرون ظلالاً من الدين والمعرفة والمدنية على حياة الفلاح فيسعد بالسلام والوئام والبركة ، بينما تجد (الأفندية) يتسكعون على أفاريز الطرق ، أو يتقمعون (١) على موائد المقاهي ، ينتظرون وظيفة يعيشون عليها ، أو جريمة يدخلون فيها

* * *

على أن التعليم الدينى ليس صالحاً كله ، والتعليم المدنى ليس فاسداً كله ؛ وملاك الأمر هو مزج الخير فى هذا بالخير فى ذاك ، فيكون منهما قوام صالح تتماسك عليه الأخلاق وترتقى به المدارك . وليس فى التعليم الأزهرى خير إلا فى عناصره الأساسية الثلاثة : الدين والعربية والشرقية . فاحتفظوا بها واجعلوا ماعداها درَج الرياح . اجعلوها بعد تنقيتها وتقويتها أساساً للثقافة العامة ، فإن فى الدين رياضة الروح ، وفى العربية ثقافة الشعور ، وفى الشرقية سلامة الشخصية . ولا يضيرنا إذا قام التعليم على هـذه الأسس الثلاثة أن يكون ما نتعلمه أوربياً محضاً لا أثر لعلومنا فيه ، ولا صلة لكتبنا به

نريد أن تبسط (المعاهد) سلطانها على التعليم فى هذه الأمور الثلاثة ، ثم تعلن للمدارس إذعانها فيما عدا ذلك . ولا يتحقق هذا السلطان إلا إذا كان لمادتي الدين واللغـة حظ موفور من منهج المدرسة وكفاية المدرس وعناية الوزارة

فاذا سار الأمر فى تعليمهما على الوجه الذي يسير عليـه فى المدارس الابتدائية والثانوية ، اضطربت القواعد فى الجامعة الأزهرية وأصابها من وهن الأساس وتصدع الجوانب ما أصاب كليـة الآداب فى الجامعة المصرية ، فتبنى على الرمل ، وتعتمد على الخواء ، وتكتفى بهذه العناوين الضخمة والألقاب الفخمة والمظاهر الخداعة ، ثم لا نكون قد فعلنا أكثر من أننا عمدنا إلى نظام مستقر يفيد بعض الفائدة ، فحولناه إلى نظام مضطرب يضر كل الضرر

هـذه كلمة عجلى فى المشروع لا فى الموضوع كتبناها توطئة لما ستنشره الرسالة متى وقفت على قرار الرأى فيه

(١) المشيأ : الممسوخ

(١) تقمع إذا قعد يطرد عن نفسه الذباب من التبطل

الماضي والحاضر

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

لقيت مرة صديقاً قديماً أثيراً عندي فسألني : « يا أخي أين أنت » قلت : « حيث تراني » قال : « إنا لا نجدك في أي مكان » قلت : « ذاك لأنك تبحث عني في حيث يوجد الناس عادة ، وأنا لا أحب أن أكون حيث يكثر الناس ويزدحمون كالمواشي في الحظائر »

بعد هذه الفاتحة ذهبنا نتمشى واستطردنا في الطريق من حديث إلى حديث فكان مما أذكر أني قلته له أني حرٌّ كهذا الهواء لا سلطان لأحد عليَّ غير طبيعتي — أعمل ما أشاء ، وأترك مالا أرضى ، ولا أكون في أي حال إلا على هواي . وأنا حريص على هذه الحرية الشخصية وضنين بها وفي سبيلها ومن أجلها أهمل ما يعنى به الناس غيري ، وأصرف نفسي عما تتعلق به النفوس مخافة أن يجني ذلك على حريتي ولو استطعت أن أبت صلتي بالعالم وأحيا بمعزل عنه لفعلت

وكان صديقي يسمعني أفشر وأمعر على هذا النحو ، فيقول : « صحيح صحيح » ولم أكن أعلم في تلك الساعة أني أفشر أو أمعر ولا كان قصدي إلى شيء من ذلك ، وإنما كنت أتكلم بأول مايجري في الخاطر كما هي عادة الناس حين يتحدثون ، فقلما يكلف الناس أنفسهم في المجالس عناء يستحق الذكر في التفكير فيما يقولون

وعدت إلى البيت وخلوت بنفسي وشرعت أراجعها وأحاسبها قبل النوم على عادتي فاني أعنى في آخر كل ليلة بتدبر ما كان مني في يومي ، وأكره أن أنام قبل أن أفرغ من هذا الحساب ، وما دامت صفحة اليوم قد انطوت فلماذا أبقيها مفتوحة . فأنا كالتاجر أو البنك الذي يحب أن يسوي حسابه يوماً فيوماً ويصفي ما له وما عليه في آخر كل نهار

وفي ساعات هذا الحساب الليلي الذي لا يحسه أو يدري به أحد ، يخيل إلي أني أخرج نفسي وأجلسها وأجلها أمامي وأقدم لها سيجارة أو أناولها فنجان قهوة وأحييها وألاطفها أولا كما يقضي بذلك الذوق والأدب بين المتمدينين ، ثم أفرك كفي وأقول لها بابتسامة عريضة : « والآن تعالي نتحاسب قليلا » فتمتعض أو على الأصح لا يبدو عليها أنها ترتاح إلى هذا الحساب الذي لا أختار له إلا وقت النعاس ، ولكنها لا تبدي لي هذا النفور بل تبتسم متكلفة مثلي وتقول : « ألا ترى أن الوقتَ متأخر قليلا » فأقول : « أشكر لك هذا الرفق ولكنا ما زلنا قبل نصف الليل فلا بأس من حديث قصير » فتقول : « ولكنك تعبت في يومك ... اشتغلت كثيراً وكددت رأسك جداً ، فخير لك أن ترتاح وفي الصباح ... قبل طلوع الشمس تكون قد استعدت نشاطك وانتعشت فنستطيع أن نتحدث كما تشاء ... هذا فيما أعتقد خير لك » فأقول لها : « إنك يا نفسي طول عمرك رقيقة عطوف ولولا هذا لما رضيت أن أتخذك ولما طالت بيننا الصحبة إلى اليوم ولكن لماذا نرجئ إلى الغد ما نستطيع أن نفعله اليوم كما يفعل التلميذ البليد » فتقول : « إن المدارس لا تعلم حكمة الحياة وليس صحيحاً أن على الانسان أن يتقي إرجاء ما يمكن عمله وإنما الحكمة أن يرجئ إلى غد كل ما يمكن أن يرجئه مما يريد أو يجب أن يفعله اليوم ، ولاسبيل إلى الراحة في الدنيا بغير ذلك وإلا صرنا كالآلات لا نستطيع أن ننعم بحياة أو أن نحس لها طعماً وأصبحنا كالذي زعموا أن زوجته فتحت له دكاناً وأقامته فيه وحده ولم يكفها هذا فجعلت تكلفه أن يعمل كل ما يخطر لها فأصبح الرجل لا يعرف رأسه من رجليه فهو أبداً رائح غاد يعمل في الدكان أو في البيت أو يجري في الطريق ليقضي حاجة مستعجلة فشكا إلى بعض إخوانه ما تجشمه زوجته من الجهد والكرب وما تحرمه من الراحة فسأله صديقه ولماذا لا تطلقها وتريح نفسك من هذا العناء كله ؟ فكان رد المسكين : « وهل تركت لي وقتاً أطلقها فيه »

فضحكت فقالت نفسي : « إنك تضحك ولكن هذا حال من يقبل على العمل إقبالك ويعمل بما علموه في المدرسة من عدم إرجاء ما يمكن عمله »

وتظل نفسي تحاورني وتداورني على هذا النحو وبأمثال هذه السفسطة لتهرب من الحساب فيضيق صدري بها وأهم بزجرها بعنف لولا أن هذا لا يليق وأقول الحق إني أساعدها أحياناً على الهرب لأني في تلك الأحيان أشعر بأن الحساب سيكون عسيراً عليَّ أيضاً وأن الموازين ليست خفيفة عندي

وفى تلك الليلة قلت لها بلهجة رقيقة : « هل كان من الضرورى جداً لسعادتك أن تجرى لسانى بهذا الكلام الفارغ »

فسألتنى : « أى كلام فارغ » فقلت : « إنى حر كالهواء وإنه لا سلطان لأحد علىّ وإنى وإنى إلى آخر ما أطلقت به لسانى من الهراء »

فقالت متهربة : « إن هذه لهجة فى خطاب النفس لا أظنها لائقة »

فقلت بضجر : « لا تحاوريني كما يفعل هذا الضمير المتعب »

فغمزت بعينها إن هس لئلا يتنبه الضمير الراقد فتكون ليلتنا سوداء ثم قالت بصوت مسموع : « ولكن أى كلام ليس أكثره على الأقل فارغاً »

قلت : « صحيح ولكن أنى حر كالهواء؟ هذا لا يطاق ولا أدرى كيف أزدرده صديق بلا اعتراض »

قالت : « إما أن الصديق لم يفهم أو لم يدرك حق الادراك وإما إنه فهم وأثر المجاملة وإتقاء المصادمة أو هو كغيره يفشر ويعمر فهو يحملك جميل الصبر على فشرك لترده إليه حين يفشر هو »

فكادت تفحمنى ولكنى كابرت وقلت : « ولكنى لا أحب أن أكون فشاراً »

قالت : « لا عليك فما أراك كنت فشاراً جدا . إن كل ما قلته هو أنه لا سلطان لأحد عليك غير طبيعتك وهذا صحيح وهو يصدق فى كل حالة وعلى كل إنسان »

فسكت وما ذا عسى أن أقول ، وخطر لى أنى قد أباهى ماشئت بحريتى المزعومة فى التصرف فلن أكون إلا مخادعاً لنفسى فى حقائق الحياة وما دام أنى مسير بطبيعتى التى تسيطر علىّ وتوجهنى فأنا لا أستطيع أن أكون إلا ما تسمح لى به هذه الطبيعة فأنا أبدا مقيد بها وفى سجن منها لا باب له ولا أمل فى فكاك أو خلاص فى هذه الدنيا . وقد تثور نفسى وتمور عواطفى وتفور خواطرى ولكنها لا تستطيع أن تفعل ذلك إلا بالقدر الذى تسمح به طبيعتى الخاصة وإلا فى محيط هذا السجن . ومهما تكبر البحيرة وتعظم فان لها من شطئانها حواجز ولا بد من زلزال يغير معالم الأرض لتغيير هذه الحواجز أو توسيعها أو إبعادها وعلى أنها تبقى بعد ذلك حواجز إلا إذا غارت البحيرة كلها واختفت من الدنيا

وخيل إلىّ وأنا أفكر فى هذا أن طبيعتنا أو فطرتنا تجعلنا فى حياتنا خاضعين لسلطان يد أو أيد تمتد إلينا من وراء القبور وأن الماضى هو الذى يسيطر علينا لا الحاضر وأنه ليس لنا أن نتجه فى سيرنا فى هذه الدنيا إلا إلى حيث تديرنا هذه الأيدى الخفية التى تمتد من ظلام الماضى

وتذكرت وأنا أدير هذا المعنى فى رأسى كيف تزوجت ، وأقص الخبر لأن له دلالته وعلاقته بهذا المعنى . كنت صبياً فى الرابعة أو الخامسة — لا حين تزوجت من فضلكم — فزارنا خالى وامرأته ومعهما طفلة لهما من الله بها عليهما فتناولها أبى ووضعها على حجره وقبلها ، وأخذ يداعبها ويلمس خدها الطري الصغير بأصبعه الناشف الكبير لتتبسم ثم ردها إلى أمها ونظر إلى أمى وقال : « هذه إن شاء الله لابننا »

ولم أشهد أنا هذه الجلسة فقد كنت فى الكتّاب ولكنهم دعونى حين صعدت إلى رؤية « عروسى » فلم أزد على النظر إليها ثم انصرفت عنها غير عابئ بها لأنها لا تستطيع أن تلاعبنى ولم أكن أعرف فى ذلك الوقت أن هذه التى احتقرتها هي التى ستكون زوجتى يوماً ما . ولو أن أحداً بيّن لى هذا يومئذ وكشف لى عن الغيب فيه لما فهمته . وقد قصت أمى على ما دار فى هذه الجلسة فيما بعد ولم يخطر لى قط أن أشك فى صدقها ، فقد كانت رحمها الله لا تكذب . ولا تعرف المحاورة والمداورة أو اللف إلى أغراضها . وقد مات أبى بعد سنوات قليلة ولم يمش لينعم بهذا الزواج الذى رتبه وقرره لابنه الذاهل فى طفولته . ولكن ابنه — وأعنى نفسى — ظل بعد أن سمع هذا الحديث وعرف رغبة أبيه يدور فى نفسه أن أباه كان يشتهى أن يزوجه هذه الصغيرة بعد أن يكبرا فاتجهت نفسى مع هذا الخاطر وصرت أنظر إلى بنت خالى نظرتي إلى زوجتى المستقبلة . وكانت امرأة خالى على عادة بعض الأمهات — تبديها لى تارة وتحجبها عنى تارة فأثمرت هذه المحاورة ثمرتها وتعلقت نفسى بالفتاة وصبوت إليها فلما صرت ذا عمل أكسب منه رزقى حققت رغبة أبي وهكذا سيطرت علىّ إرادة أب مات قبل سنوات عديدة ، وقولوا ماشئتم

فى تأويل ذلك ، فلن تخرجوا به عن كونه مظهراً لتحكم الموتى فى الأحياء

ومنذ بضع سنوات قليلة دعانى صديقى الأستاذ سليم بك حسن العالم الأثرى المشهور إلى زيارة ما كشف عنه من الآثار القديمة عند الهرم فى المنطقة التي اتخذتها الجامعة لحفائرها ، وقد طاف بنا ساعات طويلة وهو يشرح ويفسر ، ولكنه لم يستوقفنى من كل ما رأيت سوى أثرين أو نوعين من الآثار : فأما الأول فجدران بيوت قديمة لعلها كانت سكنى لكهنة المعابد أو خدمهم ، وقد وقفت مذهولاً أمام هذه الجدران فقد سكنت بيوتاً جدرانها مدهونة على هذا النحو وبهذه الألوان عينها . والذين سكنوا البيوت القديمة قبل أن ترتفع هذه العمائر الجديدة يعرفون ولا شك كيف تدهن الجدران من الداخل باللون الأبيض أو الوردى أو الأزرق ، وكيف يجرى خط عريض بلون آخر كالحزام للجدار وفوقه خط آخر ، وتحت هذين على مسافة عشرين سنتيا أو نحو ذلك خط عريض آخر ، وكيف يملأ ما بين الخطين العريضين بالرسوم أو النقوش أو يترك ما بينهما بياضاً

هذا الذوق فى زخرفة الجدران ليس جديداً وإنما هو ذوق انحدر إلينا وورثناه من آلاف السنين وعشرات القرون . وقد طغت علينا فى السنوات العشر الأخيرة موجة من الغرب ، فنحن نقلده فى هندسة البناء وفى طراز الزخرفة ، ولكنا بدأنا نستنكر أن نظل مقلدين ونستهجن أن نفقد بذلك خصائصنا القومية وذوقنا الخاص الذى نتميز به بين الأمم . وعسير أن يتنبأ المرء بما تؤدى إليه هذه النزعة الجديدة إلى التحرر من أسر الغرب والرغبة فى أن نرجع إلى ما تمليه علينا طبيعتنا ومزاجنا القومى الخاص ، ولكن المهم أن هذا التقليد ليس إلا نتيجة الشعور بقوة الغرب وضعفنا حياله وتوهمنا من أجل ذلك أن كل مادرجنا عليه مظاهر للتأخر ، وأن بقاء ذلك معناه بقاؤنا متأخرين فيجب إذن أن نعجل بتغييره بل بمحوه . ولكنا سنستقر على الأيام فتتغلب علينا خصائصنا أو تؤثر على الأقل فيما ننقله ونقلد به الأمم الأخرى .

وما الحاجة إلى الذهاب إلى الهرم للعثور على مثل لتحكم الميت فى الحى وسيطرة الماضى على الحاضر؟ هذه الأديان كلها فى الدنيا جميعها أهى وليدة العصر الحاضر؟ الاسلام والمسيحية واليهودية والبوذية والكونفشيوسية وغيرها، أحدثها يرجع إلى أكثر من خمسة عشر قرناً . ولست أصدق أن فى الدنيا ملحداً بالمعنى الصحيح ، ورافضاً لكل دين وكل عقيدة . كان لى صديق لا يزال يفاخر بأنه ملحد لا يؤمن بشىء ، وكنت ألومه وأقول له ماذا يعنى الناس منك إذا كنت تؤثر لنفسك أن تكون ملحداً . الحد ما شئت فان هذه جنازتك كما يقول الانجليز ، ولكن أرح الناس من الأثقال عليهم بهذه الآراء التى لا يرتاحون إليها . فكان يضحك منى ويصر على حماقة المفاخرة بشدة إلحاده . ومضت سنوات والتقينا على ظهر باخرة ذاهبة إلى جنوه ، واضطرب البحر عصر يوم ورمانا لجه بالزبد ، وأنا ممن لا تدور رؤوسهم فى البحر مهما بلغ من اصطخاب أمواجه ، ولكن صاحبى الملحد أصيب بدوار شديد ألزمه سريره ، فقلت أزوره لأطمئن عليه ولأرى ماذا أستطيع أن أصنع له ، فدخلت عليه فألفيته ممتقع اللون جداً من طول ماجشأت نفسه ونهضت بلا انقطاع تقريباً ، وكان مغمض العين ولكن شفتيه كانتا تتحركان أو تختلجان بما لا أسمع من فرط الخفوت ، فملت عليه لأسمع ما هو قائل حتى كادت أذنى تلمس فمه ، فاذا به يذكر الله ويتوسل إليه أن ينقذه ويخفف عنه . وقد ترددت بعد ذلك ، أأعيره بما سمعت منه أم أدعه لنفسه ؟ ثم رأيت أن أتركه وشأنه وأن أدع الأيام ترده إلى اتزان الحكم واجتناب التطاول بعقله القاصر المحدود على ما لا يدرك

ولغاتنا ... أليست شجرة أصلها فى الماضى السحيق ... وكل لغة تتحكم فى عقول أبنائها وتصوغها لهم وتصبها فى قوالبها ، ونحن نفكر على طريقة خاصة يضطرنا إليها احتياجنا إلى التعبير وفق أحكام خاصة للغتنا الموروثة بألفاظها ونحوها وصرفها وتراكيبها وقوالبها ومجازاتها ، أى أننا نفكر على نحو ما كان يفكر الأقدمون من أبناء هذه اللغة . ولا سبيل إلا إلى ذلك ولا مهرب منه

ونظام الوقف ماذا هو ... إنه ليس إلا نظاماً يستطيع به رجل مات أن يحكم إرادته بعد زواله وخروجه من الدنيا فى أجيال متعاقبة من الأحياء . ومن كان يشك فى أن الموتى يتحكمون فى الأحياء فليذكر هذا الوقف . رجل له مال سيتركه ويرحل عن الدنيا وكأنما يعز عليه أن يده سترتفع وأن ماله ستتولاه أيد غير يديه فينشئ وقفاً يقضى فيه بأن يرث الذكور ولا يرث الاناث

أو يرث الاناث ولا يرث الذكور ، ويخرج طبقة ويدخل طبقة ويهب من يشاء ويحرم من يشاء، ويتحكم بهذه الوسيلة فى إرادات ناس لم يرهم فى حياته ولم يعرفهم ولم يحبهم أو يكرههم ... أليست هذه يداً ممتدة من وراء القبر توجه الأحياء إلى حيث تريد ، وتصرفهم عما لا تريد ؟ وهنا موضع التحرز من خطأ قد يسبق إلى الأوهام، فلست أحاول أن أنتقد نظام الوقف أو غيره من النظم، وإنما أنا أسوق مثالا لسيطرة الماضى على الحاضر وخضوع إرادات الأحياء لإرادات من أدرجوا فى القبور . ولعلى لو كنت ذا مال لسرنى أن أنشئ وقفاً وأن أعطى وأمنع ، وأنعم على هذا وأبخل على ذاك ، فان السرور بذاك التحكم طبيعى والأمم التى لا تعرف الوقف تعرف ما يشبهه مثل الوصية، وليس الوقف إلا ضرباً من الوصية أو لعل العكس هو الأصح

ولا يتسع المقام لتقصى وجوه الحياة ومبلغ السيطرة الواقعة عليها من الماضى . ثم إن هذا لا ضرورة له فإنى أظن الأمر واضحاً وفى وسع من شاء أن يقيس على ما ذكرت

وليس معنى هذا أن حياتنا تتغير وأن الحاضر صورة دقيقة من الماضى وأن عصراً يذهب وآخر يجيء ، بلا اختلاف ولا تفاوت ولا تقدم . كلا فان القول بهذا لا يكون إلا سخافة . ونحن نشهد التطور بأعيننا فى زماننا فمن التعنت أن يحاول أحد أن ينكر أنه لا يزال يحدث فى الدنيا . وإنما معنى ما أسلفت من الأمثلة أن الكتلة البشرية لا ترمى بزمامها إلى كل من يدعوها إلى تغيير حالها وذلك بأن تقاومه وتناهضه ما وسعتها المقاومة لأنها تجرى على عادة ، والحرص على العادة أسهل من الأخذ بالجديد غير المألوف، ولكنها مع ذلك تتزحزح شيئاً فشيئاً عن مألوفها ولكن ببطء شديد ، أو قل ببلادة إذا شئت . فلا يستطيع من يدعوها إلى الجديد أن يحملها على الأخذ به كلا ، فانها لا تستطيع ذلك ولا تقوى عليه ، ولهذا نرى الدعاة إلى الجديد يسرفون فى الطلب ونرى الجماعة البشرية تسرف فى الرفض أو المقاومة وبذلك ينتهى الأمر بالوصول إلى حد وسط معقول

وقد كانت الكتل البشرية فيما مضى تنتظر أن يجيء الدعاة إلى التغيير من أبنائها، ولكنا صرنا فى زمن توثقت فيه الصلات بين الأمم قاطبة وصرنا لفرط السهولة فى الاتصال وسرعته كأننا أمة واحدة، فاذا قام داع إلى جديد فى انجلترا فان صوته يسمع فى الوقت نفسه فى مصر والصين ، وقد لا يحدث فى مصر والصين مثل الأثر الذى يحدثه فى بلاده؛ والأمر فى هذا يرجع إلى درجة التهذيب فى كل شعب ومبلغ استعداده لتقبل الدعوات الجديدة لا إلى بطء وصول الدعوة ، ومن هنا قلت حاجة الأمة إلى داع خاص من أبنائها، لأن كل داع إلى جديد فى أى قطر تبلغها دعوته كما تبلغ أهله ، ومن هنا أيضاً صار التطور فى زماننا أسرع لأن وسائل التبليغ والالحاح على الشعوب صارت أسهل وأسرع وأقوى وأفعل، وحسبنا الصحف والمطابع والاذاعة اللاسلكية مما لم يكن له وجود فى الماضى

رأيت منذ أيام سيدة عجوزاً من معارفنا تمشى فى الطريق مع زوجها الهرم وفتاتها الناهد ، وكنت أعرف هذه الأسرة شديدة الحرص على تقاليد الحجاب . ولكن الزمن جرفها بسرعة التطور الحادث فيه فخرجت الأم العجوز سافرة تنافس بنتها الحديثة فى الزينة وسار معهما الأب الهرم لا ينكر شيئاً من هذا الذى كان مثله قبل عشر سنوات يدفعه إلى التفكير فى القتل . فهذا مثال لسرعة التطور من جراء السهولة التى تصل بها الموجات الجديدة من الأمم الأخرى

وأعود الآن إلى بداية الكلام فأقول إن هذه الخواطر وأمثالها أرتنى أن الحرية التى أزعمنى ناعماً بها فى حياتى أكثرها وهم ومغالطة للنفس فى حقائق كبيرة ، والقصد على العموم أولى وأسلم ، وإن الحياة لأسر ، وكثير على الأسير أن ينادى أنه حر طليق وفى يديه الحديد وله حين يتحرك صلصلة ورنين

ابرهيم عبد القادر المازنى

لو كنت الــــرافعى!

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

كنت أقرأ بعض كتابات الرافعى رحمه الله فى بعض أعداد الرسالة حركتنى إلى قراءتها أنى وقعت على « وحى القلم » فى مجلد واحد نسيه الأستاذ عزام عند الدكتور الدرديري فى جمعية الشبان المسلمين، فأخذته أجيل الطرف فيه ، وكان كتابي وحى القلم قد استعاره أخ لى فلم أقرأه مجموعاً وإن قرأت أكثره متفرقاً فى « الرسالة »

قرأت من تلك المقالات الحسان مقالة « دعابة إبليس » ولقد ضحكت لبعض تصويره للمواقف ما لم أضحكه من زمن طويل؛ وسرنى أن إبليس شغله الأوربيون يوم الأحد فترك الرافعى يكتب هذا المقال بعد أن ظل يحاوره ويداوره ويعاجزه حتى كاد يعجزه ، لو لا أن الأوربيين لم يتركوا له وقتاً يوم الأحد !

ورجعت إلى المنزل أردد هذا المقال فى خاطرى وأجد له تطبيقات وتوجيهات عندى . ومن ذا الذى لا يشاغله إبليس ويعاجزه فيما يروم وفيما يحاول ؟ ومن ذا الذى لا يسخر منه إبليس إذ يخدعه المرة بعد المرة عن الشىء بعد الشىء بنفس الطريقة وبنفس النتيجة ؟ ومن ذا الذى كلما خدعه إبليس مرة لم يزل يرجو ويؤمل أن تكون تلك آخر مرة ثم يقع فى نفس الشرك الذى وقع فيه من قبل — وهو يعلم أنه قد وقع من قبل فيه — يستزله الشيطان بالأمل والرجاء حتى يقع ؟... كلنا ذلك الرجل. فليس فينا مثلاً من لم يخدع مرة بعد المرة عن صلاة العشاء وهو متعب لينام، أو لكى يؤديها بعد فى جوف الليل فيجتمع له بذلك مع الفريضة التهجد ، فينام ولا يقوم — إن نام — إلا بعد الفجر . وليس فينا من لم يخدع عن الفجر ، بل عن الصبح بتسويفه القيام خمس دقائق يتذوق فيها فى يقظته بقية الراحة التى كان يجدها فى نومه أو ليهدأ فيها جسمه ، أو ليجف فيها عرقه ، فلا يستيقظ بعدها إلا عند طلوع الشمس . كلنا ذلك الرجل على اختلاف تجاربنا مع الشيطان . وللشيطان طريقته فى خدع كل إنسان ، لكننى لا أشك فى أنه وإن اختلفت خدعه وطرائقه التى يستزل بها الناس، لايزال يسوى بينهم جميعاً فى شىء واحد هو كرُّه على الواحد منهم المرة بعد المرة بنفس الأسلوب وبنفس النتيجة؛ فاذا خطر لأحدهم فى موقف وقفه من قبل أن هذا من الشيطان وأن الشيطان خدعه بهذا من قبل ففوت عليه غرضه ، مهد له الشيطان سبيل الانخداع عن طريق الرجاء وأوقع فى نفسه أنه إن يكن فاته ما فاته فى الماضى فان ذلك لن يفوته هذه المرة فسيستيقظ أو سيكتب أو سيعمل عمله الذى ينوى ، ولكن فقط بعد أن ينام أو يهدأ أو يستريح أو يفرغ مما هو فيه من موقف فى قصة أو فى لعبة أو فى حديث . فينام أو يهدأ أو يستريح أو يفرغ ولكن غالباً مع تفويت ما كان يعنى به نفسه أن يعمله بعد النوم أو الهدوء أو الراحة أو الفراغ . وهكذا دواليك. وليس أعجب فى العراك بين خصمين من هذا النوع من الخدع والانخداع بين الشيطان والإنسان ، فلو وزن كيد الشيطان هذا بأى ميزان غير ميزان الإنسان لشال فيه أقبح الشيل . وما كان للشيطان أن يغلب الإنسان أبداً بهذا النوع من الكيد بادى الضعف لو لا أن الإنسان يعين الشيطان على نفسه بتصديقه إياه فيما قد ثبت له بالتجربة أنه يكذبه فيه . وما أظن الحديث الشريف : « لايلدغ المؤمن من جحر مرتين » إلا منظوراً فيه فى باطن الأمر إلى سد هذا الباب من كيد الشيطان وهو أوسع أبواب كيده . ولكن ما أبعد الإنسان من الوجهة العملية عن صفات الإيمان !

رجعت إلى المنزل ولمقال الرافعى هذا صدًى يتردد فى قلبى وذهنى . وكنت أجد فى نفسى إعجاباً بطريقته فى التصوير وحنكته فى التعبير وغوصه فى التفكير . وكانت طرفة الطرف عندي فى ذلك المقال الطريف خاتمته حين اشتد عجب الرافعى من ترك إبليس إياه يوم الأحد ، يوم عطلة الأوربيين كأنهم لم يتركوا له وقتاً ! وهى مفاجأة لم يكن يتوقعها القارئ ، تدل على لطف ما للرافعي من فن . وتصورته وهو يكتب جاهداً ليفرغ من مقاله قبل أن يسترد إبليس بعض وقته الذي استغرقه الأوربيون ذلك اليوم ! وإذا كنا كلنا سواء في الانخداع لإبليس فلسنا كلنا سواء والرافعىُّ فى عدم الإلقاء إلى إبليس باليدين وفى التيقظ له وانتهاز الفرصة منه إن لاحت كما انتهز هو انشغال إبليس بالأوربيين يوم الأحد فكتب — رحمة الله عليه — للرسالة ذلك المقال الطريف

دخلت المنزل وفى النفس ميل إلى القراءة فذهبت إلى أعداد الرسالة ألتمس ما كتب الرافعى فيها . وقبضت منها قبضة فإذا بيدى الأعداد ١٣١ إلى ١٤٠ فقرأت مقالة « اجتلاء العيد » ، وكنت وأنا أقرأه أعجب لانثيال كريم المعانى على ذلك العقل ، وانحياز نبيل العواطف إلى ذلك القلب ، أو بالأحرى تجدد مجى مما جمع الله للرافعى رحمه الله من حظ فى عمق الفكرة ونبل العاطفة ودقة العبارة ، وعجبت لبعض من لا يقدرون الرافعى كيف لم يقرأوا له ، أو كيف وقد قرأوا لم يقدروا ما كتب عن الطفولة يوم العيد فى مقالة « اجتلاء العيد »

ثم أخذت فى قراءة المقال الثاني من مقالات المشكلة ، انظر إلى استخراجه معنى النيب من كلام المصلح المنتظر ، ونابغة القرن العشرين ، وإذا بصوت أسمعه رفع عينى وأرهف أذنى ، وأصغيت أتسمع لذلك الصوت ولآخر يجيبه ، ولم يستغرق الصوتان إلا هنيهة أرخيت بعدها جفنى أتأمل رنين الصوتين فى نفسى فوجدتها مهتزة بمعان شعرت أنى لا أحسن تصويرها لو حاولت . فقلت : قضية ولا أبا حسن لها . لو كنت الرافعى !

وكان الصوت ينادى : « ما ـ ما » وكان الذى يجيبه صوت أمه هبت من منامها تقول : « نعم ـ حاضر » وقد رشح الصوتان إلى من خلال الجدار

كان الصوت صوت ابنى المريض قد تماثل للشفاء بحمد الله ينادى أمه لبعض شأنه ، فكان جوابها ذينك اللفظين تفصل بينهما لحظة . وكان أحد اللفظين جواباً على النداء الذى سمعت ، والثانى على الطلب الذى لم أسمع ؛ وكان حس حركة في الغرفة يشير إلى بقية الجواب . وكان للنداء والجواب وقع فى نفسى وشجن لا عهد لى به . ولست أدرى أهى الرقة التى يجدها الوالد لطفله المريض ، أم هى روح الرافعى فى ماقرأت وفى ما كنت أقرأ هيأت نفسى فازداد تأثرها بذينك الصوتين حتى جاشت لها ؛ لكن الذى أدريه أنى لو كنت الرافعى فى ساعتى الحاضرة لأخرجت للناس من خير ما أخرج لهم رحمة الله عليه فى « وحى القلم »

محمد احمد الغمراوى

من أسبوع العروبة والإسلام بالعراق

رسول المجـــد (١)

للأستاذ عبد المنعم خلاف

يا مجد مولانا محمد ! لقد فنيت فى تصويرك ألفاظنا المسموعة والمقروءة ، ولكن كلماتنا النفسية الهائلة بقيت كما هى مكتومة لم يقرأها الناس ولم يسمعوها ...

وهأنذا أسأل قلمى الميت الجامد التافه ... ومدادى الأسود المظلم ، أن يعينا على تصويرك أيها المجد ، وتصوير فتنة النفس وسحرها بك ...

ولكن تُرى هل القصب الميت يتكلم ... والحبر الأسود ينير ؟ تُرى هل تسمح الأقدار أن نكشف العلاقات الخفية بين نفوسنا وبينك على ضيقنا ورحابتك ؟

هيهات . هيهات ... فإن تلك منطقة حرام على النطق والتصوير بالكلام !

* * *

يا مجد محمد ! تجسم تجسم بأشكال القرن العشرين وأثوابه .. أخرج من الكتب والتاريخ مرة أخرى ... عُدْ عجيباً غريباً كما بدأت غريباً عجيباً ... كن أجساداً تمشى على الأرض فى أشخاص أبنائك الذين أضواهم جوعهم إليك ... كما تمثلت فى أجساد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسين وخالد وسعد والمثنى وابن عبد العزيز وعلى الرضا والرشيد وصلاح الدين وغيرهم وغيرهم من الرجال المصابيح الذين لم تر لهم الدنيا شبيهاً إلا تحت جناحك ..

يا مجد محمد ! إنك مجد دنيا عاجلة فاتنة يحن أبناؤها إليها ويحبون أن يتحدثوا عنها أحاديث البطولة والجيوش والقواد والعلماء وفتوح الأقلام وفتوح السيوف ...

كما أنك مجد دين وروح وأخرى وملكوت خفى يتصل بالنبوة والرسالة وما وراء الطبيعة ... إنك مجد الظاهر والباطن والمعلن والخفى ...

(١) ألقيت فى حفلة جمعية الهداية الاسلامية مذاعة بالراديو العراقى

إنك محمد اليتيم الفقير الراعى الحيي الأمى الذي وقف وحده فى جوف الصحراء يقول للعالم الأرضى كله : إلى أين أيها العالم ؟ إلى أين ؟ أنت مصروف عن وجه الله ذى الجلال ، وعن الحق الذى قامت به السموات والأرض .. !

إنكم جميعاً أيها الناس تطلبون الله .. ولكنكم جميعاً أخطأتم السبيل إليه . فليس الله حجراً ينصب ويعبد ، وليس إلهاً خاصاً ببني إسرائيل يحب الدم والذهب ، وليس له صاحبة ولا ولد ، وليس كوكباً يشرق ويغرب وينطفئ يا عبدة الكواكب ، وليس يرمز إليه بالنار التى توقد من الطين وشجر الطين أيها المجوس ، وليس يطلب عذاب الجسد أيها الهنود ، وليس القوة كل شيء فى سياسة الحياة أيها الرومان ، وخففوا من الفلسفة الشاردة وبلبلة الأفكار أيها اليونان ...

فتقول له الوثنية العربية والجاهلية العريقة : يا ابن أبى كبشة .. أأنت تكلم من فى السماء ؟! أألقى الذكر عليك من بيننا ؟ ! إنك لمجنون ... إن أنت إلا ساحر ... إن أنت إلا مسحور ...

وتقول له الأديان والمذاهب والفلسفات : من أنت أيها الصحراوى الأمى حتى تكون المهيمن على الأديان والمذاهب وصاحب البلاغ الأخير من السماء إلى الأرض ؟ ماهى ثقافتك ؟ أتعرف فلسفة سقراط وطب بقراط وحكمة أفلاطون وأفلوطين ..؟

فيقول لهؤلاء جميعاً : «لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله »

« إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ ... » « إنما أعظكم بواحدة : أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ... »

وتقول له السماء : « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن ». « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ماالكتاب ولا الايمان، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا» « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين » « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا »

فيمضى فى طريقه المملوء بالأشواك والأوعار والمؤامرات والمكايدات حتى يظهر الله كتابه ويبسط سلطانه على مراكز الحضارات . وها أنتم أولاء تسمعون صدى ذكراه فى جوف الليل .. بعد ألف وكذا من السنوات . وسيسمع الدنيا حديثه دائماً

سيداتى سادتى :

لماذا ندير حديث الذكرى المحمدية مثنى وثلاث ورباع وأكثر؟

لماذا نملأ الأجواء بضجة التهليل والتمجيد لروح محمد ومجد محمد؟

لماذا نرغم بغداد ودمشق والقاهرة وصنعاء وأنقرة وطهران وكابل وكل عاصمة عربية وإسلامية على السجود تحت أقدام مكة والمدينة ؟

لماذا ننثر من تراب مكة والمدينة قبضات فى أجواء العالم الاسلامى حتى تكتحل به كل عين ويتوضأ منه كل وجه وتمتلئ به كل رئة ؟

لماذا نرسل من أرواحكم الآن أيها السامعون والسامعات وفوداً وفوداً إلى أرض محمد ومعاهده ومواقع جهاده ومشاهد تاريخه ؟

لماذا كل هذا ؟

كل هذا لأننا نريد ونتوقع أن يرجع مولانا محمد إلى الأرض مرة ثانية فى أشخاصكم أنتم أيها المسلمون ، لأن الأرض حبلى مجنونة تلد كل يوم فرادى وتؤامى من الجرائم والنكبات والشناعات والقساوات وحرب الآراء والجماعات ؛ ولن ينقذها إلا دكتاتورية رحيمة عادلة معقولة مثل دكتاتورية محمد كما يقول برناردشو الكاتب الأشهر ... ولأننا نريد أن يؤمن المسلمون بأن المستقبل لهم لا محالة إذا ما بدأوا نهضة نفسية مبنية على تعاليم رسولهم التى تميت النزعات الآثمة الدنيئة التى تدور حول حب الحياة حباً يذهب أخص مميزات طالبي المجد ...

ولأننا نريد أن تثبت دعائم النهضة العربية والاسلامية فى النفس أولا حتى لا تعبث بها الرياح أو يتسرب إليها السوس

وقد ضربت وضرب كثيرون على أوتار جديد فى أحاديث الذكرى النبوية ، ذلك لأننا نريد أن يفهم المسلمون أن الاسلام إن لم يكن مطلوباً ضرورياً لنا كدين نحن مقتنعون بصحته ، ومكلفون التعبد به حتى نصق نفوسنا ... فهو على أقل تقدير أولى المبادئ التى يجب أن نعتنقها حتى تزيح عن أنفسنا وديارنا كابوس الاستعمار وضغطه الذى لا يرفعه عنا إلا مبادئ الاسلام

العملية الصارمة التي أولها امتلاك كل منا نفسه ووضعه قلبه على كفه ، واعتبار كل منا نفسه قوة هائلة تستطيع أن تفعل الأعاجيب في الأرض

ومتى امتلك المرء نفسه وملكها لمحمد ، فلا والله أن تصل إليه قوة أرضيـة بسيف حديدي أو ذهبي ... ومتى وضع كل امرئ قلبه على كفه ، فليست هناك قاذفات قنابل أو مدمرات بارود تستطيع أن تدنو من ذلك القلب الصغير الذي صنعه الله من معدن سماوي لا يصل إليه كيد إلا من داخله ...

وإلا تخبروني لماذا حتم القرآن في بعض آياته وظروفها على المسلم ألا يفر أمام عشرة من المشركين بل يجابههم ويجالدهم حتى يقتلهم أو يقتل ؟

وخبروني : كيف حلا لأهل بدر وهم ثلاثمائة ليس معهم إلا فرسان وسبعون بعيراً أن يقابلوا جيش المشركين ، وهو ألف معهم عتادهم وخيلهم ورجلهم ... ثم تنتصر الفئة القليلة وتأكل أرض بدر سبعين جسداً من يآفيخ الشرك ؟

بل خبروني كيف حلا لسبعين عراقياً ومثلهم من الفلسطينيين ومثلهم من الأردنيين والسوريين أن يواجهوا جبابرة البر والبحر في ثورة فلسطين الماضية ؟

وكيف استعصى على مالكة العباب والتراب والسحاب والكلاب البوليسية أيضاً أن تتعقب تلك الشراذم المفرقة على شعاب الجبال كالنسور والصقور ، والتي تدير رحى ثورة ما عرف التاريخ لها مثيلاً في ضلاعة الرجال وصبرهم وإيمانهم بحقهم ؟

وقد أخبرني هنا في العراق أحد كبار الصقور الذين كانوا يجاهدون في الثورة الماضية قبل تدخل ملوك العرب ، أنهم كانوا يفعلون الأعاجيب ... وأن الأقدار الإلـهية كانت معهم بالتوفيق والالهام ، وأنهم لم يعرفوا تفسير آيات الجهاد التي وردت في القرآن الكريم ، والتي تجرد المسلم من منطق الضعف ووسواس الحذر إلا في هذه الثورة ... وأنهم اكتشفوا سراً خطيراً هو أن المسلمين يستطيعون أن يفعلوا أشياء عظيمة تثبت كيانهم وتعجل استقلالهم وتعيد إليهم مجدهم، ولكنهم يجهلون أنهم يستطيعون ، أو لا يجهلون ... ولكن سادتهم وكبراءهم ورجال سياستهم هم سبب الضعف والشلل وأصل الخوف والبلاء ، وأنهم يفرطون ولا يستطيعون أن يلعبوا أدوارهم في الوقت المناسب ، وأن سياستهم — إن كانت لهم سياسة — مكشوفة يقصد بها الشهرة وأنهم غافلون عن الأسباب السريعة التي تحيل النفوس الخزفية إلى نفوس حديدية ، وأنهم يجهلون بتاتاً روح « محمد » ، أو يعرفونها ولا يستخدمونها خوفاً من الاتهام بالرجعية والتعصب ... وأنهم فوق ذلك وأدهى من ذلك متفرقون مختلفون متناطحون كالثيران التي في المجزرة وهي لا تعلم لماذا هي في المجزرة !

أيها السادة :

إننا لسنا هازلين في نهضتنا . لقد طال رقودنا وركودنا وقد عزمنا أن تحيا أولاً جامعتنا العربية المكونة من ثمانين مليوناً هم في مركز الأرض كما تحيا أي جامعة ... لنؤدي رسالتنا السامية في الحياة . ولن يعوقنا عائق مهما كان ملففاً بالحديد والنار والذهب لأننا القوة التي اختارها الله لحمل رسالته الأخيرة وقوة الله لا تغلب « والله أعلم حيث يجعل رسالته » وقد تكهرب الجو وتكهربت نفوس المسلمين والعرب ، وامتلأت الأفواه باللعنات والسخط والحقد ، ودب دبيب إحساس جديد في جميع الأقطار العربية . وأقسم بالقدر وقوانينه وبسنن الله التي لا تتخلف نتيجة فيها عن مقدماتها ... أني أحس أن الزمن يتمخض عن شيء هائل ! وأن أجواف المسلمين وقلوبهم تغلي الآن لأنهم يوقدون على قلوبهم بالحديد والنار في فلسطين !

أيها المسلمون ! أيها العرب ! تربصوا واستعدوا واغسلوا قلوبكم بتراب محمد الذي في كل ذرة من ذراته قطرة دم مقدس هريق في سبيل مجدكم وعزكم . ولا تهابوا شيئاً ولا تفرضوا الفروض الوهمية أيها السياسيون

يا أسبوع الذكرى ... ذكرى مطهر الأرض من قذارة الروح وقذارة العقل وقذارة الجسم ... طهر نفوس المسلمين ، واغسلها من الأوهام والضعف والجهالات !

أيقظهم من تخدير البنج المعطر الذي خدرتهم به سحرة أوربا لاجراء عملية جراحية عظيمة في جسومهم إلا وهي إخراج

قلوبهم العظيمة الموروثة من ميراث محمد ، ووضع قلوب صغيرة حقيرة منخوبة كافرة فى موضعها !

ارفع عن عيونهم المناظير الملونة المكبرة للتوافه التى تريهم الهر أسداً والحبل جبلا ، والجزية حرية ، والرصاص ذهباً !

ارفعها عن عيونهم حتى لا يخدعوا بالعناوين التى لا وراء منها وحتى لا يخدعوا بالتراب المزوق عن اللباب المحض والصفو الخالص ؟

يا أيتها الأيام السبعة كونى صلوات سبعاً تعيد إلى المسلمين الايمان بأن منقذهم فى السياسة والأخلاق والاقتصاد والحرب والسلم لن يكون غير محمد صاحب الذكرى ورجل الدنيا !

إجعلى صباحاتك السبع إشراقاً وضياء بالأمل والعمل

إحفظى كل كلمة من كلمات الخطباء الشعراء والمنشدين من الضياع . سجليها فى أعصاب سامعيها حتى تستحيل إلى أجراس دائمة الرنة والدعوة إلى استحضار صوت النبى فى الضمائر آمراً : جاهدوا وادأبوا وكابدوا ، صارخاً : طالبوا وغالبوا وصابروا ورابطوا . كونوا نظيفى المادة قديسى الروح . كونوا علماء وجنوداً وتجاراً . كونوا تجاراً ... كونوا تجاراً ... ولا تعبدوا الوظائف الحكومية التى يؤكل فيها الخبز بدموع الذلة وخيانة الواجب

أيها السادة :

يجب ألا يتغير المثل الأعلى الذى وضعه مولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم للمسلمين لأنه المثل الأعلى للانسانية . ويجب أن يفهم كل مسلم ذلك حتى يعرف قيمته ومركزه فى البشرية ، كما يجب على أرباب الأديان الأخرى أن يرحبوا بعودة المسلمين لدينهم ، فمن الخير لأرباب الأديان أن يعود قلب المسلم كما كان فى عهده الأول

وليعلموا يقيناً أن المسلم بغير دينه يكون وحشياً متعصباً مؤذياً أنانياً قذراً ... أما بدينه فهو إنسان رحيم قائم على نفسه وعلى الناس بالحق والعدل كما أوصاه الله

وليعلم المسلم أن أول ما يبدأ به فى الاصلاح : البيت . البيت

عبد المنعم خلاف

فلسفة التربيـــة

تطبيقات على التربية فى مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٨ —

« ... وثقافة الانسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من العلوم والآداب ، ولكن بمقدار ما أفاده العلم ، وبمقدار علو المستوى الذى يشرف منه على العالم ، وبمقدار ما أوحت إليه الفنون من سمو فى الشعور وتذوق للجمال ! »

« أحمد أمين »

« للرجل المثقف جسم خاضع لارادته ، وعقل صاف منذ القوى سهل العمل ملىء بما فى الطبيعة من حق عظيم وقوانين كلية ، هذا إلى امتلاء بالحياة المنسجمة الخادمة لضميره الحى ، وإلى حب للجمال وكره للقبح ، وإلى احترام للنفس وللناس ، وإلى وفاق تام مع الطبيعة يفيدها فيه ويستفيد منها ، ويسير معها كوزيرها أو ترجمانها وهى كأمه الحنون ! »

« هكسلى »

٨ — خريج اليـــوم

أقرأت هذين القولين العظيمين فيما مرّ عليك من قواعد وأصول ؟ وهل أدركت ما يرميان إليه من معنى سام دقيق هو قوام الشخصية الكاملة التى تنشدها التربية الحديثة فى الجماعة الديمقراطية ؟ إن يكن أفليس من الخير أن أبحث معك عن نتائج ذلك « المجهود الهائل » الذى تبذله الدولة فى التربية والتعليم ، كيما نستطيع أن نقدر هذه المدارس بطرائقها ، وتلك المعاهد بأساليبها ؟ . أليس من الخير أن ننشد جماعة « الخريجين » لندرسهم ما داموا هم غرض التربية الأول والأخير ؟ ألحق أن كل نظام يغفل درس نتائجه وتقويمها وتقديرها قدرها الصحيح يعرض نفسه دائماً لآفة الرجعية والجمود والفشل والاضطراب ! فترى ماذا عسانا واجدين إذا شئنا أن ندرس « خريج اليوم » على ضوء هذه الأصول العامة التى قدمنا بها لذلك النقد المر البرىء ؟ سأحاول جهد المستطاع أن أرسم لك صورة واضحة شاملة ترى فى خطوطها المتكسرة ظلا لما يمكن أن يكون عليه « السواد الأعظم » من مدارسنا . ولك بعد هذا أن تحكم على ذلك المجهود الهائل » بما تريد ، وأن تلتمس لعلاجه كل ما يمكن أن يفيد !

١ — الشخصية الكاملة

ولقد علمت فيما مضى أن التربية الصحيحة تنشد تكوين « الشخصية الكاملة » بكل ما في الكمال من معنى ، وأن كمال الشخصية إنما ينحصر في « عقل » منطق سليم التفكير مستقل الحكم رائده الحق وحده ، وفي عاطفة مصقولة مهذبة تغذى الخلق القويم وتسكب على الحياة من أسرار الجمال ما يملؤها نعيما ورغداً وفخاراً وشرفاً ، وفي جسم قوى العضلات مفتول الساعد يقوم كهيكل مقدس للروح الخالدة وكأساس وطيد للعقل السليم والعاطفة المستقيمة ، أجل ! لقد علمت ذلك فيما مضى ، فتعال إذا يا صاح نبحث عنه في تلك الشخصيات القائمة في « الديوان » وغير الديوان علّنا نسمع أو نرى … ! !

٢ — العقل

وقد مر بك أيضاً أن « العقل » هو ما جعل الإنسان إنساناً ، وأنه يجب أن يقوم في النفس مقام السائق في العربة ، حتى لا يجمح بها جوادها ! وأنه يجب أن يصيب من الغذاء الصالح كل ما يشبع نهمه المطلق حتى يستطيع صاحبه أن يدعى بحق أنه يحيا حياة إنسانية رفيعة ، وأن غايته الفريدة إنما هي « الحق البريء » في شئون الكون وشئون الحياة على السواء ! وأن الخطأ الذي قد يتعرض له في أحكامه الخاصة والعامة يمكن أن يُجتنب بقوانين المنطق وطرق التدريس إذا حَسُنَ استعمالها ؛ وأن وأن وأن مما قد لا يتسع الوقت لذكره ! فأين ذلك كله أو بعضه يا عزيزي في « خريج » ذلك التعليم ؟ ؟ أين هو العقل المسيطر ؟ وأين هو العقل العاشق للعلم ؟ وأين هو العقل السليم في أحكامه ؟ وما لحياتنا تعج بأنواع الفوضى ؟ وما لعقولنا تمتلئ بالقشور والسطحيات ؟ وما لها تخطئ كل يوم فيما تكيف به الحوادث والحقائق خطأً قوامه الجهل أو الميل أو ماشئت غيرهما ؟ لست أتكلم عن سواد الشعب ولكني أتكلم عن المثقفين وحملة الشهادات المتوسطة والعالية ! أين فيهم ناشد الحق للحق وحده ؟ وأين فيهم محب العلم للعلم فحسب ؟ وما بالهم لا يقرأون بعد تخرجهم ولا يبحثون ولا يؤلفون ؟ ؟ ومالك لا تجد في أيديهم — إذا وجدت — غير الأوراق التافهة من كتب ومجلات ؟ ؟ وما لك لا تجدهم إذا بحثت عنهم في غير أوقات عملهم — إلا مكدسين في القهوات يتكلمون كثيراً في غير ماشيء ، ويضحكون كثيراً على لاشيء ؟ ! مالهم لا ينتظمون في الجمعيات الاصلاحية المختلفة ؟ وما لنواديهم تبقى خاوية على عروشها بينما هم يعمرون ما تحتها مقاهٍ وحانات ؟ ! ثم ما لآرائهم الاجتماعية والسياسية تضطرب فهي آناً مع الحق الذي لا تعرفه ! وآناً مع الحق الذي لها فيه غنم أو لذويها فيه نصيب ! وآناً ثالثاً مع كل قوى التعبير جعجاع القول مموه الخطابة زائف المعنى ؟ ! الأدب الرفيع في مصر هل له حياة عند غير أهله وعارفيه وهم أقل القليل ؟ والعلم الدسم في مصر هل يجد له شارباً حتى من أولئك الذين درسوا فيه شيئاً ، فلما نالوا « الشهادة » وكسبوا الوظيفة ركلوه بأرجلهم ومضوا يشبعون كل شيء غير المعقول ؟ !

ذلك وكثير غيره واقع وملموس ! ! فالمتعلمون هنا يتعلمون للعيش فحسب ؛ والعلم عند أكثرنا وسيلة لا غاية قط ، والطريقة التي « نتعاطاه » بها كانت وما زالت في بعض نواحيها رثة بالية لا تحببنا فيه ولا تحببه فينا ، ولذلك ما نلبث أن نهجره وما يلبث أن يهجرنا ! . ومن هنا لا تعجب قط إذا أدركت في متعلمينا عقول العصافير ، وسمعت منهم زقزقة الطير ، وتبينت في أنوفهم هذا الكبرياء وذلك الغرور ، ولاحظت في حياتهم هذا الاقفار الأليم من « دنيا العقل » وسلطان العلم !

لست أنكر أن في الجامعة بعض ما قد يبشر بجيل جديد ! ولكني ما زلت أخشى أن تطغى الحياة القاسية على الشباب الموموق فتزيل من نفسه ذلك التعلق بالحياة العلمية كما قد أزالته حتى في الكثير من رجال البعثات أنفسهم !! ذلك أن هذا التعلق مصطنع ودخيل وحديث ، ولذلك ما يلبث أن يخمد في الكثيرين فاذا هم يسيرون في التيار العام ناسين أو متناسين آمالا باسمة وأطماعاً هائلة !! ولست أنكر أن فينا من يؤلف وينتج ويخرج من الآثار الأدبية والعلمية كل ثمين قيم ؛ ولكن ألا ترى معي أن علمنا مازال عالة على علم الغرب ، وأن تأليفنا يقل فيه « الابداع » أيما قلة ، وأن الكثير من رجالنا إما « معربين » فحسب ، وإما « ملخصين » لا غير ، وإما « قارئين » مع « الهضم » أو « عدمه » ؟ ثم ألا ترى معي أيضاً أن الدولة مقصرة في حق

رجال الأدب والعلم أيما تقصير ، وأنها إذا كانت لا تعمل على تكوينهم تكويناً سليما ، فهى ماتزال تتركهم يكافحون الحياة القاسية بسواعدهم ، وينفقون زهرة عمرهم ويوجهون نشاط عقولهم وقلوبهم إلى كسب قوتهم وقوت عيالهم فحسب ، وإن هي تنبهت وقصدت إلى الأخذ بيدهم ، فقلّ أن يأتى ذلك منها خالصاً سليما ، لأنها إما أن تعطيهم الأجر الضئيل ، وإما أن تقذف بهم فى عمل بغيض لاصلة له بعلمهم أو فنهم قط ، وإما أن تسىء تقدير عملهم بالقياس إلى الأعمال الأخرى ، إلى حد يزهق نفوسهم ويميت حماسهم (١)

وها أنت ترى أن « المعلمين » فى مصر هم خير رجال العقل وأجدر الناس جميعاً بالمساعدة والتشجيع ، وأن النهضة العلمية إنما قامت وتقوم على كواهلهم

فماذا فعلت الدولة لهم وماذا قدمت غير ذلك العمل المرهق الذى يحرق أعصابهم (٢) ، وغير ذلك الأجر الضئيل الذى لايقارن بأجر غيرهم من رجال الدولة العاملين (٣) ؟ وإلى اللقاء حيث أحدثك عن نواحى أخرى ...

« يتبع » **محمد حسن ظاظا**

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

---

(١) ونذكر بالشكر والتقدير مسابقة الوزارة الأخيرة فى التأليف

(٢) وقد فصلنا الكثير من أمره في المقال الأسبق

(٣) وتجرى الوزارة رغماً عن عدم مساواتهم فى كدرهم بكادر رجال القضاء على نظام الترقية تبعا للأقدمية . ومعنى هـذا أن المدرس الشاب المتلئ نشاطاً وحماساً والذى يستطيع أن يضاعف مجهوده العلمى أضعافاً مضاعفة أملا فى حسن الجزاء وزيادته لاأمل له فى الترقية قط إلا عند مايحل دوره . ومن هنا ينشأ اليأس ويؤدى العمل بنفس غير راضية ولا مطمئنة . والحق أنه قد آن الأوان للعناية التامة بهذه الناحية ، لأن المعلم لا يستطيع على أى حال أن يقدم أكثر مما يأخذ ... ! !

من برجنا العاجي

ماأجمل « المكرسكوب » إذا وضع إلى جانب « الكمنجة » ! ! فى مصر والشرق العربى قلما نجد هذا المنظر . فان رجل العلم ذا النفس الحساسة بالجمال الفنى قليل . أعرف مع ذلك واحداً هو الدكتور حسين فوزى مدير إدارة الأبحاث المائية فى الاسكندرية ، فهو عندى أثمن ما فى الاسكندرية . ما أكاد أضع قدمى فى هذه المدينة حتى أسرع إلى « معمله » أشاهد أسماكه الغريبة تلعب فى أحواضها البلورية ، وأراقب مخلوقاته العلميـة تنبض تحت المكرسكوب . إلى أن يحين وقت الغداء فيخلع رداء المعمل الأبيض ويقودني إلى مسكنه حيث يطعمني خير الطعام ويحمل « الكمنجة » ويعزف لى إحدى « سونات » بيتهوفن التى أحبها . على أن هناك متعة نفسية أخرى طالما انتظرتها منه وطالما أغريته بها : القلم . لكنه كان يماطلنى ويهرب منى كالعصفور الذى يهرب من الشبكة ؛ وأخيراً وقع وحمل القلم ونشر كتابه « سندباد عصرى » يصف الجانب الانسانى من رحلته العلمية فى بعثة السر جون مرى إلى المحيط الهندي ، بأسلوب كالبحر الذى أمامه زاخر بعناصر الحياة وأنواع الصور مع خفة روح ورشاقة تعبير

وذهبت مع الدكتور فوزى منذ أيام أقدمه إلى وزير المعارف فابتدره الوزير قائلا :

— حذار من توفيق الحكيم أن يفسد عليك العلم ويغريك بالأدب !

فابتسمت أنا ابتسامة ماكرة . وأخرج صاحبي من تحت إبطه « كتابه » وقدمه دليلاً ناطقاً على أن الافساد قد تم وأن الأغراء قد حصل !

أما أنا فسرورى كذلك قد تم . فانى سوف أرى فى زيارتى القادمة للاسكندرية « المكرسكوب » و « الكمنجة » و « القلم » جنباً إلى جنب : أجمل رمز لاجتماع العلم والفن والأدب فى كائن آدمي واحد . وتلك إحدى معجزات الظروف التى لم تتهيأ إلا لمثل « إينشتين » اللاعب بالفكر واللاعب بالكمنجة . أما اللعب « بالقلم » فلم يغره به بعد شيطان من الشياطين ! فطوبي لحسين فوزي الذى اكتملت فيه الهبات الثلاث !

توفيق الحكيم

محمد إقبال (*)

شاعر الإسلام وفيلسوفه

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

ينتسب إقبال إلى أسرة قديمة برهمية دخلت فى الاسلام منذ ثلاثة قرون. وكانت تقيم فى كشمير، ثم اضطرتها الحادثات أن تهاجر إلى البنجاب. واستقر بيت إقبال فى سيالكوت من إقليم البنجاب حيث ولد سنة ١٨٧٦؛ وبدأ تعليمه فى هذا البلد وظهرت فيه مخايل النبوغ، وكان يسبق أقرانه ويظفر بمكافآت الحكومة التى تمنحها النابغين من التلاميذ. وفى سيالكوت درس الأدب الفارسى والعربى على مير حسن أحد الأدباء النابهين

ثم انتقل الشاب النجيب إلى لاهور فدخل كلية الحكومة ولقى بها السير توماس آرنولد فأخذ عنه الفلسفة. وقد سمعت الأستاذ آرنولد يفتخر بأن إقبالاً تلميذ له. وأتم إقبال دراسته متفوقاً ظافراً بالجوائز الكثيرة. ثم نصب مدرساً للفلسفة فى الكلية الشرقية بلاهور

وقد شدا إقبال الشعر وهو تلميذ فانتظر الأدباء منه شاعراً عظيماً. وفى سنة ١٩٠٥ سافر إلى أوربا فدرس فى كمبردج ثم فى ميونخ حيث نال درجة دكتور فى الفلسفة. وكان فى أوربا مثال الجد والمثابرة وموضع ثقة أساتذته. وقد استخلفه أستاذه آرنولد حينما غاب عن كمبردج شهوراً. ولم ينس فى أوربا أن يدافع عن الإسلام ويبين مزاياه فألقى فى انكلترا محاضرات فى هذا الموضوع

ورجع الدكتور إقبال إلى الهند سنة ١٩٠٨ فأحسن قومه استقباله راجين فيه خيراً لأمته ودينه. وعمل فى المحاماة واستعانه المسلمون فى كثير من شؤونهم. وما زال يزداد مكانة فى السياسة والأدب حتى بلغ ما بلغ من المجد وذاع صيته فى الهند وغيرها. ولا يتسع المجال لتفصيل الكلام فى تاريخه وسياحته فى الهند والأفغان وفى الأندلس وأوربا وذهابه إلى مصر والقدس

بدأ إقبال نظمه فى اللغة الأوربية فنشر فى الصحف وأنشد فى المجامع قطعاً كثيرة جمعها بعد فى ديوانه الذى سماه (بانك درا) أي (صوت الجرس)

ففى هذا الديوان أول أشعاره، ولكنه لم يكن أول دواوينه انتشاراً. وهذه كتب إقبال على ترتيب نشرها:

١ — أسرار خودى
٢ — رموز اين خودى
٣ — بانك درا
٤ — پيام مشرق
٥ — زبور عجم
٦ — جاويد نامه
٧ — مسافر
٨ — ضرب كليم
٩ — بال جبريل

وقد مات وهو ينظم: أهلك حجاز

ومن هذه المنظومات السبع ثلاث فى اللغة الأوردية، هي: بانك درا، وضرب كليم، وبال جبريل. والأخريات فى الفارسية

وله غير ذلك مؤلفان باللغة الانكليزية، الأول تطور ما وراء الطبيعة فى فارس، والثانى: محاضرات حاول فيها أن يبنى العقائد الاسلامية على فلسفة جديدة وجعل عنوانهـا: إصلاح الأفكار الدينية الاسلامية

فأما منظوماته: بانك درا، وزبور عجم، وضرب كليم، فقد ضمنها قطعاً كثيرة تبين عن مناح كثيرة من فلسفته وعواطفه يتناول فيها العالم والانسان والأخلاق، ويحاول جهده إيقاظ الشرقيين عامة والمسلمين خاصة، وتبصيرهم بطرائق الحياة وإشعال الحماسة والغيرة والاقدام فيهم

وأما منظومتاه الصغيرتان: مسافر وبال جبريل فقد سجل فى الأولى ما أثارته فى نفسه زيارة أفغانستان إذ دعاه ملكها المرحوم نادرشاه هو وبعض مفكرى الهند ليستشيرهم فى إنشاء جامعة فى كابل، وفى الثانية مشاهده فى بلاد الأندلس

وأما جاويد نامه فهي رحلة فى الأفلاك، دليله فيها جلال الدين

(*) ذلك نص المحاضرة التى ألقاها الدكتور عبد الوهاب عزام بدعوة من جماعة الأخوة الاسلامية فى دار الشبان المسلمين. وقد سمعها كثير من رجال الأقطار الاسلامية فى مصر

الروسى لتى بها عظماء المسلمين من ملوك وأدباء وعلماء ، ومنهم بعض رجال العصر . كالسيد جمال الدين الأفغانى وسعيد حليم باشا ومهدى السودان وقد سماها باسم أحد أنجاله جاويد ، وأراد بها بناء جيل جديد

وأما پيام مشرق فقد جعله جواباً للشاعر الألمانى الكبير جوته عن ديوان الغرب الذى أسف فيه لما أصاب المدنية الغربية وتمنى أن يمدها المشرق بعقائده وعواطفه

وإذا عبرنا هذين الكتابين عرفنا فلسفة إقبال وآراءه ومذاهبه فى الحياة وخياله وفنه فى الأدب :

نشر پيام مشرق سنة ١٩٢٣ وكتب على صفحته عنوانه : « ولله المشرق والمغرب » وكتب تحت اسم الكتاب « فى جواب الشاعر الألمانى جوته » . والديوان أقسام :

الأول : لاله طور : أى شقائق الطور ، وفيه ١٦٣ رباعية

والثانى : أفكار ، وفيه عناوين مختلفة مثل الوردة الأولى ، تسخير الفطرة وهى محاورة بين آدم وإبليس ، فصل الربيع ، الحياة الخالدة ، أفكار النجوم ، محاورة العلم والعقل ، الحكمة والشعر ، قطرة ماء ، العبودية

والثالث : من باقى — أى الخمر الباقية ، وهى قطع متشابهة فيها نزعة التصوف ممزوجة بفلسفة الحياة

والرابع : نقش فرنك ، وفى هذا القسم يتكلم عن عظماء الفلاسفة والشعراء فى أوربا ويبين رأيه فيهم

وهذه أمثلة من شعر إقبال فى هذا الديوان بعد أن تذهب الترجمة النثرية بكثير من جمالها وروائها

الحياة

بكى سحاب الربيع فى جنح الليل فقال : هذى الحياة بكاء مستمر فتلألأ البرق الخاطف :

قد أخطأت ! إنها لمحات من الضحك

ليت شعرى من روى للبستان هذا الحديث فهو حوار مستمر بين الندى والورد

اليراعة

سمعت اليراعة تقول : لست كالنملة ينال الناس شرها ؛ ولست كالفراشة تصطلى بنار غيرها . أنا أشتعل بنفسى ولا أحمل لأحد منّا . إذا سار الليل أحلك من عين الظبى أنرت بنفسى لنفسى الطريق

الحقيقة

قالت العقاب بعيدة النظر للعنقاء : إن الذى تدركه عينى سراب . أجابت العنقاء : أنت ترين ذلك ، ولكنى أعلم أنه ماء . فنادت السمكة من لجة البحر : هنا وجود لاشك فيه ، وهو فى هياج واضطراب

الحكمة والشعر

ضل أبو على فى غبار الناقة ، وأمسكت يد الرومى ستر الهودج . هذا غاص حتى ظفر بالجوهر اللألاء ، وذلك دار مع الغثاء على وجه الماء . الحق إن لم تكن فيه حرقة فهو حكمة ، وهو شعر إذا قبس من القلب ناراً

الوحدة

ذهبت إلى البحر فقلت للموج المصطخب : أنت فى سعى دائم فما خطبك ؟ فى جيبك آلاف اللآلئ فهل فى صدرك جوهر من القلب كالذى فى صدرى . فاضطرب وجزر ولم يحر جواباً

* * *

ذهبت إلى الجبل فسألت : ما هذا الجمود ؟ ألا ينال سمعك صيحات المكروبين وآهات المحزونين ؟ إن يكن العقيق الذى فى أحجارك قطرات من الدم فحدثنى فإنى محزون

فانقبض وصمت ولم يحر جواباً

***

قطعت طريقاً بعيدة ... وسألت القمر : يا جوّاب الآفاق ! هل قُدر لك فى سفرك قرار ؟ العالم حديقة ياسمين من شعاع وجهك ، فهل نور وجهك من قلب يتجلى ؟ فرأى رقباء بين الأنجم فلم يحر جواباً

* * *

تخطيت القمر والشمس إلى حضرة الخلاق فقلت : ليس فى عالمك ذرة تعرفنى . العالم خلو من القلب وأنا قبضة من التراب ، ولكنها كلها قلب

إن هذه المروج جميلة ولكنها ليست أهلاً لنغماتى . فتبسم ولم يحر جواباً

نسيم الصباح

إنى آتية من صفحات البحار وقمم الجبال ولكن لست أدرى من أين أهب . إنى أبلغ الطائر المحزون رسالة الربيع وأنثر فى داره فضة الياسمين . وأتقلب فى المرج وألتف على أغصان الشقائق

فأبعث اللون والرائحة من مسامها، وأتعلق رفيقة رفيقة بأوراق الورد والزهر حتى لا أثقل على أغصانها، وإذا رأيت شاعراً هاجته هموم العشق خلطت بنغماته نفساً بعد نفس

العشق

عندي خبر هذه الكلمة الأخاذة للقلوب التي هي سر وليست بسر. أنا أنبئك من سمعها وأين سمعها! استرقها الندى من السماء فأوحاها إلى الورد، وأخذها عن الورد البلبل، ونمّتها عن البلبل ريح الصبا

نغمة حادي الحجاز

يا ناقتي الخطّارة وظبيتي المعطـارة
وعدتي والشـارة
والمال والتجارة يا دولتي السيارة!
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

***

جميلة الرواء مطرية الرغاء
محسودة الحسناء وغيرة الحوراء
بنية الصحراء!
حتي الخطي قليلاً منزلنا قريب

***

كم غصت في السراب في وقدة اليباب
وسرت لم تهابي في الليل كالشهاب
والنوم عنك نابي
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

***

قطعة غيم غادي سفينة الرواد
كالحظر في البوادي عضين في سداد
فلذة قلب الحادي!
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

***

هيامك الزمام وسيرك الأنغام
يتعبك المقام لا الجوع والأوام
والسفر المدام
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

***

ممسية في اليمن مصبحة في قرن
ترين حزن الوطن كالخز تحت الثفن
إيه غزال الحسن!
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

***

بدر السماء نعسا خلف التلال خنسا
والصبح قد تنفسا مزق هذا الغلسا
والريح تزجي نفساً
حتي الخطى قليلاً منزلنا قريب

***

لحني دواء السقم والروح ملء نغمي
يحدو الركاب كلمي من جارح وبلسم
هلم بنتَ الحرم!
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

(البقية في العدد القادم)

عبد الوهاب عزام

حول المذهب الرمزى

للأستاذ محمد فهمى

تناول الأستاذ عبد العزيز عزت المذهب الرمزى فى مقاله الأخير بالعدد « ٢٥٥ » من الرسالة « الغراء » فجاء بآراء تجعل القارئ يقف متسائلاً ... ماذا يقصد الأستاذ عزت بهذا ؟ ! هل يقصد الرمزية فى الفلسفة أم يقصد الرمزية في الأدب والشعر ؟ فان كان يقصد الأولى فانه لم يحدد غرضه ، لأن ماساقه من آراء العلامة مارتينو فى كتابه « المذهب الرمزى والبرناس » « إننا نجد عند ڤرلين وعند ملارميه وعند رامبو وكثير من الرمزيين أن الشيء الواقع وقبوله حاضراً كان أم ماضياً لا قيمة له مطلقاً » وليس فى هذا اشارة إلى رمزية فى الفلسفة . اذن فالأستاذ يقصد رمزية الأدب والشعر وهو ما يفهم من ثنايا مقاله ومن الأمثلة التى ساقها وأسماء زعماء الرمزية الذين ذكرهم . ومن العجيب أن يخلط الأستاذ فى الاستشهاد والرد والتجريح هذا الخلط الذى يبعده عن خاصيّة تحديد الموضوع تلك الخاصية التى يتوخاها كل دارس للفلسفة مثل الأستاذ الفاضل .

فالمعروف أن الفلسفة شيء والشعر والأدب شيء آخر . وأن المذاهب الفلسفية غير المذاهب الأدبية وان كان التفاعل متصلاً بين هذه وتلك ، ولكن عن طريق الاحتكاك والتأثير لا عن طريق الاندماج ؛ فلكل ميدانه ومنطقته . فالفلسفة مظهر نشاط التفكير العقلى ؛ وأما الآداب والشعر فمظاهر لانفعالات الحسّ وهواجس الروح

فما شأن آراء أوجست كونت « فى كتبه المتعددة عن الفلسفة الوضعية والتفكير الوضعى برمزية الأدب والشعر ؟ ! وما شأن رأى أبى الاجتماع الحديث « دوركيم » فى العلم برمزية الأدب والشعر ؟ ! وما كانت الرمزية التى تناولها الأستاذ مذهباً من مذاهب العلوم ! بل ما شأن مذاهب فلاسفة السوفسطائيين والثورات الثلاث التى أثارها على التعاقب سقراط وأفلاطون وأرسطو ؟ ما شأن كل هذا بالمذهب الرمزى الذى يتحدث عنه الأستاذ فى مقاله ؟ حقاً لقد هدّمت هذه الثورات الثلاث الكثير من آراء السوفسطائيين حتى صدّعت مذهبهم ، ولكن هل غيرت أو هدّمت فن سوفوكليس واريستوفان ويوريبيد ؟ كلاّ ، لأنها كانت ثورات فى الفلسفة ولم تكن ثورات فى الفنون والآداب ! وقد عاصر هؤلاء الأعلام فى الأدب الاغريقى كلا المذهبين السوفسطائى والسقراطى فما تهدم فنهم بهذا ولا بذاك !

وأظننا لسنا بحاجة إلى القول أن العلم شيء والآدب شيء آخر . فالعلم لا وطن له، وإن النظرية العلمية يبتكرها عالم فى أى بلد من بلاد العالم ، وعند ماتثبت بالتجربة والبرهان تصير ميراثاً مشتركاً لكل عالم على وجه الأرض من أى مملكة هو ولأي جنسية يتبع وبأىّ دين يدين . وما هكذا الشأن فى الأدب . فلكل أمة أدبها ونوازعها ومظاهر بيئتها وتراث تاريخها ودياناتها وتقاليدها . فكيف يسوق الأستاذ تلك الآراء والأدلة الطويلة العريضة لرجال الفلسفة والعلم فى موضوع هو من أخص خصائص الآداب والشعر !!؟

أما استشهاد الأستاذ برأي العلامة « مارتينو » « ... فان المذهب الرمزى عند ما ابتدأ ظهوره وأخذت أبواقه ترتب الدعاية والنشر له قامت قائمة الناس فى فرنسا وسموه « النزعة الجنونية » لما يتضمنه من القضاء على الروح الاجتماعية والتضامن بين أهل البلد الواحد ، ولهذا أجمعت الناس فى فرنسا على جموحه وشره الفتاك وقاوموه بكل ما عندهم من قوة ، وأمكنهم — كما يذكر العلامة الدير — أن يقضوا عليه فى عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً من ولادته ، ودفنوه (غير مأسوف عليه) »

هكذا يقول العلامة مارتينو الذى يستشهد به الأستاذ عزت .

وما أظن العلامة الدير إلا ناقداً مجرحاً قاسياً ، أو مفكراً قريب الشبه بطائفة المحافظين عندنا الذين يقيمون الدنيا ويقعدونها « دنياهم وحدهم طبعاً » كلما نشأ اتجاه جديد سواء فى الأدب أو الشعر أو الاجتماع . وإلا كيف ساغ للعلامة الكبير أن ينساق مع رأى الناس في تسمية الرمزية « النزعة الجنونية » إذ على هذا القياس يكون من ذكرهم فى كتابه « المذهب البرناسى والرمزى » من الأعلام أمثال ڤرلين وملارميه ورامبو وكثير من الرمزيين إلا مجانين ! ولا أظن العلامة الكبير يوافق على هذا ولا الناس فى فرنسا ولا القراء ولا الأستاذ عزت !

ثم ما ذا يقصد من أن المذهب الرمزى قضى عليه فى عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً من ولادته ؟ هل معنى هذا أن آثار الرمزيين قضي عليها تماماً « غير مأسوف عليها » وإنها الآن فى

حيز الكتابات الهيروغليفية قبل اكتشاف شمبليون لحجر رشيد؟ أم أن الرمزية قد قضى عليها كمذهب قائم بذاته له أنصاره ومدرسته؛ إن كان الأخير فهذا أمر طبيعي وهو مآل كل مذهب قائم الآن. فالآداب والشعر تتغير بتغير المجتمع والبيئة في الأمة في عصورها المتعاقبة. وإنك لتشاهد الآن في انجلترا أن مذهب الرمانتيكية وكان من أعلامه شكسبير وملتون، وفي فرنسا هوجو ولامارتين، قد أخلى الطريق لغيره من المذاهب التي خلفته شأن مذهب الرمزية وكل مذهب أتى أو قائم أو سيأتي ...

ولكن لا ينكر أحد فضل الرومانتيكية في الأدبين الانجليزي والفرنسي وأنها كانت من العوامل المؤثرة في نشوء المذاهب التي أعقبتها. وهكذا فعلت الرمزية إذ أثرت فيما خلفها من المذاهب

بل إن مذهب السوفسطائيين في الفلسفة الذي ذكره الأستاذ في مقاله كان له أكبر الفضل في نشوء الفلسفة السقراطية وتلك الآراء والتعاليم القيمة التي ابتدعها سقراط وحمل لواءها أفلاطون من بعده؛ ثم كانت أساساً لتلميذه الفذ أرسطو. ولا يخفى أن من السوفسطائيين من كانوا يلمسون الحقيقة في بعض المواقف حيث يخطئها سقراط نفسه. «أنظر محاورة بروتا جوارس» بين سقراط وشيخ السوفسطائيين الذي سميت المحاورة باسمه

ولعلي في هذه الكلمة قد جلوت بعض نواحي الأشكال والغموض اللذين أثارهما مقال الأستاذ عزت الأخير؛ ولعله في مقالاته الآتية يتفضل بمراعاة التحديد وعدم الخلط بين المذاهب الفلسفية وآراء الفلاسفة وبين المذاهب في الآداب والشعر

«القاهرة» محمد فهمي

أسبوع في فلسطين

للأستاذ محمد سعيد العريان

تتمة ما نشر في العدد الماضي

لن أتحدث عن مشاهدات في هذه البلاد رأيتها بعينيّ، فذلك شيء يستطيعه كل ذي عينين؛ وفلسطين اليوم هي فلسطين التي رآها من قبلي عشرات من الكتاب والرحالين وتحدثوا عن مشاهدها وآثارها ومعالمها؛ فهذا المسجد الأقصى، وهذه قبة الصخرة، وذاك مهد المسيح في بيت لحم، وذلك — فيما يزعمون — مصعده ومسْراه على الطور، وهذا حائط البرق، وذاك مصلّى عمر، وتلك كنيسة القيامة ... مشاهد كما وصف الواصفون وتحدّث الرحّالون وتغنّى الشعراء؛ فلس بيّ من حاجة إلى الاعادة والتكرار. ولكني سأتحدث عن المشاهدات الأخرى... مشاهدات رأيتها بفكري وسمعت صداها في نفسي، وتحدث معناها إلى قلبي ...

لقد أحسست أول ما هبطت هذه البلاد كأنما نضوت عن جسدي ثوباً كان يحتويني فأنا فيه غير من أنا: حسًّا ومعنًى وفكرة؛ فما ألقيتُه عن جسدي حتى تواثبت نفسي منطلقةً على سجيتها في عالم غير محدود، لا تعرفه ولا تنكره، ولكنها فيه هي شيء غير ما كانت في هذا الثوب الذي يضم أطرافي منذ ثلاثين سنة أو تزيد ...

أمصري أنا؟ لا؛ إن وطني لأكبر من ذاك. إن لي أهلاً هنا وأهلاً هناك. إن تراث الأجيال ليتحرك في دمي الساعة فيذكرني مالم أكن أعرف. ما هذا ...؟ لكأن لي في كل مكان ذكرى قريبة وما رأته عيناي قبل أن تراه عيناي. إن قوة من وراء التاريخ تربطني إلى هذا المكان، وتستوقفني عند ذاك الأثر، وتقف بي عند ذلك المنعطف، وتذكّرني بشيء في هذا الحي. إن هنا قبساً من روح أعرفها ترفّ حولي، ونفحةً من عطر أتنسّمها تلامس روحي، وإن لي هنا لخفقة قلب، وإن لي هناك لدمعة عين، وإنني لألْقَى خواطر وذكريات لم تكن من خواطري وذكرياتي؛ وإنني لأحس ... وإنني لأشعر ... فما أشك أن لي

تاريخاً قبل تاريخى فى هذا المكان ، وأن لى ذكريات أبعد من ذكرياتى فى هذا الحى ، وأن الماضى الذى كان قبل أن أكون ، هو إرث فى دمى تحدَّر إلىَّ فى أصلاب أسلافى ذكرياتٍ غامضة لا تكاد تبين إلا خفقات فى القلب وزفرات فى الفؤاد ... !

أيها البلد الطيب ! أيتها الأرض المقدسة ! لقد عرفت بك أهلى ووطنى وتاريخ قومى . لست من فرعون ولا فرعون منى . كفرت بالوطنية إن لم أومن بأنى منكِ فى أهلى ووطنى ... !

يابلاد العربية والاسلام ، انشرى لواءكِ وابعثى ماضيك حتى تنتظم رايتُك كلَّ مسلم وكل عربى !

ياأهل العربية والاسلام ، لستم من الوطنية فى شىء حتى تؤمنوا أن وطنكم هو كل بلاد العربية والاسلام !

ياأهلى وإخوانى على ضفاف النيل ، لقد عققتم إخوتكم عقوقا غير جميل حين زعمتم أن أرومتكم غير الأرومة التى أنجبت عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعبيدة بن الجراح !

يا أساتذة المدارس المصرية ، لقد ظلمتم التاريخ ظلما غير قليل حين ذهبتم تزعمون لنا منذ كنا أننا من سلالة خفرع وميناوأمون !

وياقومى وعشيرتى هناك ، معذرة إليكم مما كان ، وعهداً علىَّ أن أكون ، وإلى اللقاء ! إلى اللقاء تحت راية الاسلام ...!

* * *

هذا شاب من أدباء فلسطين يحدِّثنى عن مصر ، وعن أدباء مصر ، وعن السياسة فى مصر ، وعن النشاط العلمى فى مصر ، حديث العارف المتتبِّع ، لا يفوته شىء مما يعرفه المصريون عن أنفسهم ؛ بل مما لا يعرفه المصريون أنفسهم ... فماذا يعرف المصريون عن فلسطين ؟

وهذه جرائد مصر ، ومجلات مصر ، ومطبوعات مصر ، تملأ السوق فى فلسطين ؛ فهى فى كل دار ، وفى يد كل قارىء . فماذا يقرأ المصريون من جرائد فلسطين ، وماذا يعرفون عن أدباء فلسطين ؟

« مصر زعيمة الشرق العربى ! »

هذه عبارة تسمعها بين كل اثنين يتحدثان عن مصر والأقطار العربية ؛ فهل عقلها من قالها ؟ وهل عَناها من تحدث بها ؟ ... أما هناك فنعم ؛ فما يقولها عربى فى غير مصر إلا مؤمناً بها مستيقناً حقيقتها ؛ وأما هنا فهل تسمعها إلا فى معرض الزهو والعُجْب والخيلاء ... ؟

مصر زعيمة الأقطار العربية ، ما فى ذلك ريب ولا جدال . ولكنها زعامة الجاه والغنى والصيت البعيد ... زعامة ليس لها تكاليف ، وليس عليها واجبات ، وليس من ورائها مشقة ... زعامة الدعاوى الفارغة ، والتشدُّق الكاذب ، ولغو الأحاديث ... وإلا فهل ذكرت مصر ما عليها للأقطار العربية حين سرَّها أن يقول القائلون إن مصر زعيمة الأقطار العربية ؟

ومعذرة يا بلادى ! إنك لأهلٌ للزعامة والجاه والسلطان ولكن ... ولكنك لا تريدين أن تفرضى على نفسك ما تفرضه الزعامة على أهلها من مشقات وتكاليف . وهيهات هيهات أن تدوم الزعامة لزعيم لا يفرض على نفسه أن يبذل أكثر مما ينتفع ... وفى الحياة عبر وأمثال...

* * *

وجلستُ فى مجلس طائفة من الأدباء أستمع إلى أحاديثهم ومداولاتهم ، فإذا شباب هناك يسبقون الكهول عندنا فى البحث والمطالعة والاستقراء ، وإذا علم وأدب واطلاع ، وإذا طرائق فى البحث لا يعرفها إلا الأقلون من أدباء المصريين ... وسمعت أسماء كتب مصرية جديدة فى السوق ، لم يعرفها بعدُ فى مصر إلا مؤلفها والصفوةُ من أصحابه . ودار جدال حول معارك أدبية فى جرائد مصر لم يكن مبلغ علمى بها إلا عنوانها وكاتبها ... وجرت مصاولات ، وتداولت آراء ، وتنوعت أساليب الحديث ؛ وخرجتُ بالصمت عن لا و نعم ، وطارت خواطرى إلى مصر ، وإلى مجالس الأدباء فى مصر ، وإلى حظ الأدب والأدباء فى مصر ؛ وأطرقتُ من حياء ...

مصر زعيمة الأقطار العربية . نعم ، إن فيها الكُتاباً وأدباء وشعراء ، وإن فيها الجرائد وكتباً ومجلات ، وإن فيها لتعليما ومدارس وجامعتين ، وإن فيها لمطابعَ تخرج كل سنة مئات من الكتب فى مختلف العلوم والفنون والآداب ، ولكن... ولكن مصر ليس فيها قراء ...

مصر ! ... إن لمصر فضلا على العالم العربى لا ينكره جاحد ، ولكنه فضل المطبعة والجريدة والكِتاب لا فضل المصريين ...

مصر ...! هل يعلم كتابها وشعراؤها ومؤلفوها أن كتبهم ودواوينهم ومؤلفاتهم أشهر وأذيع فى الأقطار العربية منها فى بلادهم ؟

رجاء إليكم أيها الكتاب والشعراء والمؤلفون : لا تسموها زعيمة الشرق العربى ، ولكن سموها « مطبعة » الشرق العربى !

* * *

ولا تجلسُ إلى عربىّ فى فلسطين إلا سمعت له حديثاً فى سياسة بلاده ، ورأياً فى سياسة بلاده ، وحماسةً فى الدفاع عن حق بلاده . وفى مصر (كانت) حركة وطنية ، وكان لها حدّةٌ وشدّة ، فما طغت فى يوم من أيامها على آراء المصريين ولا فرضت سلطانها على مجالسهم بمقدار ما شغلت الحركة الفلسطينية خواطر العرب فى فلسطين . وتسأل : لماذا ؟ فيجيبك قائلهم : « لقد كانت ثورتكم الوطنية فى مصر للاستقلال ، والاستقلال عندكم ترف سياسى ؛ ولكن ثورتنا الوطنية فى فلسطين للحياة . إن السياسة العامة فى فلسطين هى سياسة كل فرد فى أهله ، وفى دينه ، وفى ولده ، وفى حقله ، وفيما يملك ؛ إننا إن لم نكافح كفاح الموت فى هذه الثورة الوطنية ، فلن تجد منا غداً عربياً واحداً فى فلسطين ... ! »

وصدق القائل ؛ فما فى فلسطين اليوم ثورة وطنية كبعض ما نعرف من الثورات السياسية فى التاريخ ، ولكنه جهاد الأحياء للحياة ، كما يجاهدون للطعام والشراب ، فاما ظفروا فعاشوا فى بلادهم آمنين كما يعيش كل شعب فى بلاده ؛ وإما ... وإما كانت فلسطين هي الأندلس الثانية : لا يُذكر فيها اسم الله ولا ينطق فيها بكلمة التوحيد ... !

* * *

وحاولتُ أن أعرف فى فلسطين من حال المرأة العربية المسلمة التى سمعت بجهادها وبسالتها فيما تنقل جرائدنا من أخبار الثورة العربية فى فلسطين ؛ فاذا بينى وبينها حجاب ؛ فلا ترى فى الطريق واحدة منهن فى مثل حال أختها المصرية : تسير فى الطريق شبه عارية فى ثوب مهلهل إن لم يشفّ يصفّ ، ولكن وجوهٌ إلا يكن عليها حجاب فان فيها حياء... إلا وجوهَ النواني من بنات صهيون ونساء المهاجرين

* * *

ومحطة الاذاعة فى فلسطين غيرها فى مصر ؛ فهى هناك مصلحة حكومية وهنا شركة يربطها بالحكومة عقد تجارىّ ؛ على أن أول ما تلاحظه من الفرق بين المحطتين هو عناية محطة فلسطين بالأدب والأدباء وإغفال شأنهما فى مصر ؛ فلولا محاضرة أو محاضرات يذيعها كل سنة من محطة القاهرة الأساتذة طه حسين والمازنى وهيكل والبشرى — ليس غير — لما درى السامع من بعيد أن فى مصر أدباً وأدباء . على أن أكثر ما تذيعه القاهرة من موضوعات الأدب بعيد عن مناسباته ؛ فما هو إلا إعلان عن كتاب، أو تعريف بانسان، أو حديث معاد، أو خطبة منبرية ذات مواعظ وأمثال ... أو فكاهة رخيصة ... وقلما يتنبه القائمون على تحضير برنامج الاذاعة فى محطة القاهرة ، إلى مناسبة من المناسبات الأدبية العامة ليجعلوا لها موضعها من البرنامج فى ميعاده ، إلا أن يتقدم إلى ذلك من يتقدم من الأدباء وفى يده موضوعه كأنه طالب إحسان !

وأحسب ذلك يرجع إلى سببين : أولهما أن الأدب فى مصر عامة ليس له سوق نافقة بحيث يغرى محطة القاهرة بالحرص على إرضاء مستمعيه . والثانى أنه ليس فى القائمين على شئون محطة القاهرة أديب متخصص له فى الأدب معرفة واطلاع يحملانه على أن يعدّ نفسه واحداً من الأسرة الأدبية فى مصر بحيث يعرف اتجاه الجماعة فى الأدب فيسير مع تطوراتها على نهج سواء

على أن الاذاعة اليوم هى وسيلة من أجدى الوسائل فى نشر الثقافة وتوجيه الرأى العام ؛ فما ينبغى أن يحملها انصراف جمهور المستمعين عن الأدب على إغفاله ؛ فإن لها من السلطان ماتستطيع به أن تحمل مستمعيها على العناية بالأدب والأدباء لو سارت على برنامج مرسوم إلى هدف مقصود . ثم إن مصر ليست هى وحدها التى تستمع إلى محطة القاهرة ، ولكن أقطاراً أخرى من أقطار العربية لها علينا من الحقوق الأدبية ما يحملنا على إرضاء مستمعيها وكلهم يرفعون الأدب أسمى مكان

وإذ ذكرت هذا فما ينبغى أن يفوتنى ذكر الشاعر الأديب الأستاذ إبراهيم طوقان وكيل القسم العربى فى محطة القدس ؛ فانه من خيرة شباب فلسطين ثقافة وأدباً وتحصيلا ، وله فى الأدب آثار باقية ؛ وبمثله فى محطة القاهرة يمكن أن نتلافى هذا التقصير فى حق الأدب والأدباء

* * *

والمصريون فى فلسطين عدد غير قليل يعيشون فى أمن وسعة

ولهم في القدس نادٍ جميل في حيٍّ عامر يتبعه مدرسة ليلية وفرقة كشافة . دعاني إلى زيارته سكرتيره الأستاذ عبد الفتاح لاشين المصري المدرس بكلية الروضة في مساء الأربعاء ١١ مايو فذهبت إليه مع الأصدقاء الأساتذة عبد الرحمن الكيالي ، والشيخ يعقوب البخاري ، وداود حمدان ؛ فوجدت النادي مزيناً أبدع زينة احتفالا بالمولد النبوي ، وثمت شيوخ يقرءون قصة المولد ، والنادي مزدحم زاخر بالمصريين وضيوفهم من الفلسطينيين ، يستمعون إلى ترتيل القارئ في خشوع وإيمان ؛ واستقبلتنا فرقة الكشافة على الباب استقبالا مصرياً كريماً . ثم ودّعنا أعضاء النادي بعد مجلس قصير ، بكثير من الحفاوة والاكرام

* * *

وكان آخر طوافي في القدس ، في القنصلية المصرية . وما أنكر أنه كان عليّ أن أجعل أوّل خُطاي إليها غداة مقدمي ، وقد كان ذلك في نفسي ، لولا أنني كان لا بد لي من رفيق يرشدني إلى الطريق ، وكان احتياجي إلى الرفيق هو الذي جعل زيارتي للقنصلية آخر طوافي ؛ فمعذرة إلى الأستاذ الأديب محمد حامد بك قنصل مصر في فلسطين الذي جعل أول لقائه إياي عتاباً كريماً كان له في نفسي موقع جميل ، وكانت تحية صريحة لا تكلف فيها ولا رياء

زرت القنصلية في مساء الأربعاء ١١ مايو ، فوافقنا الأستاذ متري بك وكيل القنصل خارجاً لبعض شأنه ؛ فما رآنا حتى بدأنا بالتحية ، وتقدمنا عائداً إلى دار القنصلية ، فقضينا في كرمه وقتاً ما ثم لم يلبث أن حضر القنصل ، فما درى بمقدمنا حتى صعد إلى غرفته محتجاً على أن جعلتُ زيارته آخر طوافي ؛ ثم عاوده كرم المصري فأرسل يدعونا إليه ...

وكانت جلسة ممتعة ، شهدتُ فيها ما لم أكن أتوقع ، ولقيت ولقي أصحابي من عطف الأستاذ حامد بك وكرمه وأدبه ما أحرص على ذكرياته كأجمل ما شاهدت في فلسطين

والأستاذ حامد بك أديب واسع الاطلاع على رغم منصبه السياسي ؛ وإنه لتوفيق عجيب أن يكون قنصلنا في فلسطين العربية له مثل حظ الأستاذ حامد بك من الاطلاع في الأدب وفي الثقافة العربية . ولقد عجبت — شهد الله — أن يبلغ هذا المبلغ في الأدب مصري من رجال السياسة ؛ وكان آخر ما يدور في خاطري حين هممت بزيارة القنصلية أن يكون لي هناك حديث في الأدب وفي شئون الأدباء كالذي دار في مجلس القنصل الأديب ...

وأكثر من يذكر الفلسطينيون من رجالات مصر الراحلين ، محمد عبده ، ورشيد رضا ، والرافعي ، ولهم في نفوسهم منزلة من التقديس تضعهم في صف الخالدين من أبطال العربية والاسلام

وأحب كتاب العربية إليهم أسرة الرسالة ، فهم يعرفون كتابها فرداً فرداً ، ويقرءون لها ما يكتبون بشوق ، وقلما تجد شاباً من شباب فلسطين لا يقرأ الرسالة ويحتفظ بمجموعاتها . وهم يعجبون أشد العجب حين يسمعون أن طائفة من شباب مصر لا يقرءون الرسالة ! وأحسب لو أن أملهم تحقق وصارت نسبة قراء الرسالة من المصريين تعدل نسبتهم في فلسطين لكان على الرسالة أن تطبع من كل عدد مائة ألف في الأسبوع ...

وأكثر من يذكرون من الكتاب المصريين هم الأساتذة أحمد أمين، وعزام، والمازني، والزيات، وهيكل ؛ ولولا سابقة للدكتور هيكل في الدعوة إلى الفرعونية لكان أحب الكتاب المعاصرين إلى أهل فلسطين ؛ فما يغيظهم شيء فيما تكتب الصحف المصرية ما تغيظهم هذه الدعوة ، وما يرونها إلا وسيلة إلى تمزيق الوحدة العربية التي يدعون إليها ويرشحون مصر لزعامتها ، وإلا سبباً إلى تقطيع الأواصر بين مصر وبلاد الاسلام

* * *

وركبت القطار عائداً من محطة اللّد ، بعد زيارة قصيرة للأخ الأديب الأستاذ داود حمدان ، ورياضة ممتعة في سيارة الأستاذ النشاشيبي بين اللد وبيت المقدس

وتحرك بي القطار عائداً إلى مصر ظهر يوم الخميس ١٢ مايو ، فبلغت محطة القنطرة قبيل الغروب ... ومعي من الذكريات لهذه البلاد المقدسة أغلى ما يحرص عليه إنسان ...

أيتها الأرض الطيبة ! أيها الاخوان الكرام ! يا بني قومي هناك ، وداعاً وداعاً إلى لقاء قريب ، والسلام عليكم ورحمة الله

« شبرا » محمد سعيد العريان

بين الرافعي والعقاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٤ —

وبعد ، فقد فرغنا فى الكلمات السالفة من الحديث فيما هو « بين الرافعيّ والعقاد » ، ممّا جاء فى كلام الأستاذ الفاضل سيد قطب . ثم رأينا الأستاذ يبدأ ضرباً من القول هو إلى رأيه فى كلام الرافعى وحده ، ليس يدخله ذكر العقاد إلا قليلا . وقد كان بدء حديثنا محدداً بالرافعى والعقاد معاً . فنحن نرى أن عملنا قد انتهى إلى نهايته فى هذا الغرض من القول ، ولذلك ، ليس يضيرنا الآن أن نسكت إلى حين يفرغ الأستاذ سيد قطب ممّا يسر الله له القول فيه مما يسميه نقداً

وأول ما يجب علينا أن نقوله للأستاذ الفاضل بعد الذى كتبناه أنه يسيء بنا الظنّ بلا دليل ولغير عِلّة . يتزعّم أن فى حديثنا (غمزاً ولمزاً وتمريضاً به) وكذا وكذا ، ونحن نكرم أنفسنا وقلوبنا وضمائرنا وألسنتنا عن هذه الضرب من القول ، ولو أردناه لمضينا على عادتنا من التصريح دون التلويح ، ولقلنا له من القول ما هو حق لا كذب فيه ... حق يدافع عن حقيقته بالبيان والحجة والوضوح ، والأدب الذى يعفّ عن دنيّات المعاريض وسفاسف الأخلاق

وليعلم الأستاذ قطب أنى إذا أحببت لا أغلو ، ولا أتجاوز حد الحب الذى يصل القلب بالقلب ، ويمد الروح بالروح ، ويجمل النفس فى فرح متصل بسببه ، أو حزن آت بعلته ، فهذا أخلق الحب أن يخلو من سوء العصبية ، وفساد الهوى ، وقبح الغرض . فلا يجدنى أرفعُ الرافعى عن الخطأ ، ولا أجله عن الضعف ، ولا أنزهه عما هو فى عمل كل إنسان حيّ ناطق يأمل ويتشهى . مما يسمى بأسمائه حين يعرض ذكره . وفى كل أحد ممن خلق الله على صورة (الانسان) ضروب من الشمائل والسجايا والأخلاق والآداب ، ليس يطلع ظِلعها إلا الله جل جلاله ، وربَّ رجل صاف كنور الفجر يخبأ من ورائه مظلمة من سواد الليل

ولقد عرفنا الرافعى زمناً — طال أو قصر — فأحببناه ومنحناه من أنفسنا ومنحنا من ذات نفسه ، ورضيناه أباً وأخاً وصديقاً وأستاذاً ومؤدباً ، فلم نجده إلا عند حسن الظن به فى كل أبوّته وإخائه وصداقته وأستاذيته وتأديبه . ولقد مات الرافعى الكاتب الأديب وهو على عهدنا به إنساناً نحبه ولا ننزهه ، ثم جاء الأستاذ سيد قطب بحسن أدبه يقول فى الرجل غير ما عهدناه ... يؤوّل كلامه ويأخذ منه ويدع ويتفلسف ويحلل ويزعم القدرة على التولج فى طويات القلوب وغيب النفوس فيكشف أسرارها ويميط اللثام عما استودعت من خبيئاتها ، ثم هو فى ذلك لا يتورع ولا يحتاط ، ولا يَرعى زمام الموت ، ولا يُوجب حق الحيّ

لقد كتب الأستاذ ما كتب ، فقرأ كلامه من قرأ ، أفيجد فى هؤلاء من يقول له أصبتَ ؟ ومن يقول له أحسنتَ ؟ ومن يزعم أن ليس له مندوحة عما اتخذ من اللفظ فى ذكر الرافعي وصفته والحديث عنه وعن أدبه وشعره ؟ أما يجدر بالأستاذ الفاضل أن يعود إلى بيته هادئ النفس مُخَلًّى من حوافز الحياة الدنيا ، فيقرأ ما كتب مرة أو مرتين ، ثم يرى هذا الذى ترك الدنيا بالأمس وحيداً ، وخلف من ورائه صغاراً وكباراً من أبنائه وحفدته وأصحابه واللائذين به ، ثم يراهم يقرأون ما يكتب عن أبيهم وجدهم وصاحبهم بالأمس ، ثم يراهم والدمع يأخذهم بين الذكرى المؤلمة والألم البالغ ! ولو فعل ، لعرف كيف أخطأ ومن أين أساء ، ولوجده لزاماً عليه أن يقدُر عاطفة الحى ، إن لم يعظّم حرمة الموت . وهذا أمر لا نطيل القول فيه ولا نكثر من لوم الأستاذ عليه ، فإن مرجعه إلى طبيعته وما تضمره نفسه ، وإلى تقديره لعواطف الناس

ومهما يكن من شيء ، فسندعُ الأستاذ سيد قطب يقول ما يقول ، ويذكر من رأيه فى الرافعي ما يذكر ، ويصف أدب الرجل وذهنه وقلبه ونفسه بما يوحى إليه ، لا نعقب على شيء منها حتى يفرغ ، وحتى يستوفى مادته ، ويضع بين أيدينا كل حججه فى فن الرافعى . فيوم ينتهى نبدأ نحن القول فى الذى قال ... لا نرد بذلك عليه قوله ، أو نسدد له رأيه ، فمالنا بذلك حاجة ولا لنا فيه مأرب ، ولكنا نريد إذ ذاك أن نضع رأيه بمنزلة الرأى يقول به فئة من الناس ، أو شبهة تحيك فى صدر جماعة من

بين العقـــاد والرافعي

للأستاذ سيد قطب

— ٥ —

يقول العقاد في قصيدة « خليج ستانلي » :

هذي معارض صنعة لله تبهر من وصف
حى الجمـــال كما بدا أولا فدونك والجيف !

يقول هذا وهو يقف أمام هذه « المعارض » وقفة الفنان الحي ، المتذوق لكل صنوف الجمال فيها ، المتنبه لومضاته وخفقاته ، لا تكاد تعزب عن نظره ولا عن حسه لفتة من لفتات الجمال في هذا الخضم العاري . ثم يسمع من ناحية أخرى صيحات « الخرف » التي لا تقدر هذه المعارض ، وتنحي باللائمة على بروز هذا الجمال ، فيصيح بهم : هذه معارض للجمال يتملاها الأحياء المعنيون بالحياة ، فمن شاءها فليحيّ الجمال فيها ، ومن أبى أن يعجب بالحياة الخافقة فليس له إلا أن يوكل نفسه بالجيف الهامدة !

ولكن « الرافعي » لا يلقي باله إلى شيء من هذه اللفتات ، فيأخذ منخره بين أصابعه ويزم شفتيه ، ويشيح برأسه ، ويروح يتصنع التأفف والمبالغة فيه ، لأن هناك رائحة لا يطيقها في كلمة « الجيف ! »

طيب ! . ولا بد أن صاحبنا بلغ من إرهاف الحس — ولا سيما حاسة الشم — إلى درجة شديدة ، تقرب من الدائرة المرضية فالذين يبالغون في التأفف كثيراً ما يكون الارهاق بلغ بهم إلى حد مرض الأعصاب ، وهو عذر على أية حال . ولا بد أنه متجنب في أعماله الخاصة كل ما تنبعث منه أية رائحة !

ولكن ماذا عساك قائل ، إذا رأيت هذا الرجل الذي يمسك منخره بأصابعه ، لأن فناناً تهكم بخصوم الجمال ، فجعلهم ممن لا يحسنون إلا ملازمة الجيف ، إذا رأيته هو نفسه يصف فم حبيبته مستجملاً — وألق بالك إلى هذا — بأنه « حانة » !

أي والله ... « حانة » هي فم حبيبة « الرافعي » ، حانة ينبعث من روائحها ماينبعث ، ويفوح منها مايفوح ، ويمج بين جدرانها ما يمج . وفيها « من كل شيء » كما يفهم الرافعي وتلميذه الأستاذ شاكر . « من كل شيء » على حقيقتها وبمدلولها كما أوّلاه في تعسف واستغلاق

وما أبعد بك فهذه قولته :

« مسكرة للعاشقين كأن نهر الخمر في الجنة جعل فمها لهذا العاشق حانة »

ولعل أحداً من المتعسفين في التأويل والتخريج ، حسب الأهواء والميول ، يروح يقول لك : يا لله ! إن نهر الخمر الذي في الجنة هو الذي جعل فمها حانة . فهي حانة من خمر الجنة لا من خمر الدنيا !

ولكن أفما كان هناك معدى عن هذا التعبير وهذا التشبيه ؟ ألا يمكن أن تكون مسكرة حتى يكون فمها حانة ، لا كأساً لطيفة ، ولا قارورة مختومة ، ولا دناً أو « برميلاً » من الخمر ؟ ولا يكون حانة كاملة بما فيها من الدنان والكؤوس والشاربين والندمان ، وبما فيها من عبث الشاربين وأنفاسهم وما يلي ذلك من عواقب السكر وصرعة الخمر

الذي لا يطيق أن يرى فنان خصوم الجمال بأنهم غير أحياء وأنهم موكلون بالجيف ، هو الذي يطيق أن يرى حبيبته نفسه بأن فيها حانة بما فيها ؟ !

هوذلك. لأنه لاعقيدة فيما يكتب، فهو ينقد لشفاء الحزازات ويتلمس مواضع التشنيع التي لا سقطة فيهـا على الحقيقة ، وإن كان له هو على غرارها — مع الفارق — سقطات وسقطات !

* * *

ويقول العقاد متفكها ، في فصل يسميه « فكاهة » ويمنون له بهذا العنوان

الأدباء ، فعلينا أن نبين مواضع الخطأ إذا أخطأ ، ومكان الصواب إن أصاب ، وذلك غاية مانستطيع

أما ما يوعدنا به الأستاذ الفاضل ، وما يسخر به ويتهكم ، ومايضمرلنامن (بقايا) كلماته !! فليقل فيه ما شاء كما يشاء ، وسنرده على قدره وفي حد طاقتنا وآدابنا ، ولو اجتمع للأستاذ كل سلطان يستطيع به أن يسيء ، فأساء إلينا بمثل الذي أساء به إلى الرافعي رحمة الله عليه ، فنحن لا نزال — مع كل ذلك — نحترمه ... إذ ليس في طاقتنا أن نفعل شيئاً إلا أن نحترمه كل الاحترام

محمود محمد شاكر

من رأى زهرة الجمال فهذى زهرة القبح أسفرت تتحدى
طلعة الشؤم من رآها يخلها خلقت من وجوه سبعين قردا!

فما يلمح الرافعي هذا القول، حتى يغرق في ضحك مصطنع طويل؛ وهو يقول وما الفرق بين أن تكون طلعة الشؤم هذه خلقت من وجه قرد، أو من سبعين أو سبعمائة؟

والمسألة هنا ليست هكذا، فوجه القردليس كل مافيه قبيحاً، فشدة الاحتياط في «الفكاهة» جعل العقاد «طلعة الشؤم» مؤلفة من القبح المستخلص من وجوه سبعين قرداً، ليكون قبحاً خالصاً مركزاً !!!

وهي على كل حال «فكاهة» والاغراق فيها يزيد حسن وقعها، ولا يعطل من قوتها شيئاً، وهو كل المقصود بالفكاهات.

أما الرافعي الذي يعيب ذلك فاسمعه يقول جاداً لا متهكما ولا متفكها. «وأصعب ما تكون الانسانية على من يعظم بحيوانيته وحسب، فتراه وكأن مئة حمار ركبت منه في حمار واحد، ولكنه حمار عظيم ...»

أرأيت إلى حمير الرافعي المائة، وعلمت ما شأنها هنا؟

إنها لمجرد المبالغة في شدة الحيوانية. والمبالغة في موضع الجد والقصد، لا في موضع الدعابة والنادرة

فلماذا يباح للرافعي في الحمير مالا يباح للعقاد في القرود؟ وهذه سبعون وتلك مائة. وهذه قرود تحمل الدعابة والخفة في اسمها وجسمها، وتلك — أعزك الله — حمير تحمل الغباء والثقلة في «صورتها ونعتها»؟

إنه التعنت، وشفاء الحزازات التي علمت سببها فيما أسلفت من حديث

* * *

وبعد فما أعني النقد بما أوردت من كلام الرافعي هذا، فمثله لا يعد نقدا، والذي يعنى بهذه المآخذ لا يكون إلا سخيفا؛ وإنما أردت فقط أن أصور هذا العنت الذي كان الرافعي يلج فيه وهو واقع في شرمنه، وأن أبين كيف يصنع الحقد ببعض الناس، وكيف ينكشف «الذوق» المتصنع عن ثقلة وغفلة

وأحسب أنني حتى الآن قد أوضحت رأيي في الرافعي بالأمثلة الكافية كما وعدت في أول مقال. وبقى أن أوضح رأيي في العقاد على ذلك النحو

ولكني قبل هذا سألقي نظرة على ما كتب الأستاذ محمود محمد شاكر متقيدا في هذا بوعد أسلفته في الكلمة الفائتة، أكثر من اقتناعي بأن هناك ما يستأهل هذه النظرة

فلننظر ماذا قال؟

* * *

كنت في حاجة أن أستعير أسلوب العقاد في الرد على الرافعي وأمثاله، أواجه به الأستاذ شاكر، إذ كان الموقف لم يتغير. ولكني لحسن الحظ أهدأ من العقاد، وطبيعتي أقل حدة وضراما فلهذا كان أسلوبي هنا غير ما يحتاج إليه الموقف!

والأمر بيني وبين الأستاذ شاكر يمكن تقسيمه وتبويبه للاختصار

فهو «أولا» راح يطعنني في «حسن أدبي، ومروءة نفسي، ونبل قلبي، وشرف مقصدي، فيما كتبت. وراح يتهمني بمجانبة «الدين والتقوى، والحياء والتذمم». وبأنه ليس ما بي «هو النقد ولا الأدب، ولا تقدير أدب العقاد وشعره، فما هو إلا الانسان وجه يكشفه النور ويشف عما به، وباطن قد انطوي على ظلماته فما ينفذ في غيبه إلا علم الله»

وكل ذلك والأستاذ شاكر لا يعرفني، ولا يعرف شيئاً عن أدبي ولا نفسي أو قلبي، ولم تكن التهمة في فهم الأدب أو فهم الحياة، حتى يكون له مبرر في مجال النقاش الأدبي، وإنما هي تهمة خلقية محضة؛ وأنا إنما كان حديثي عن نفس الرافعي في أدبه

فماذا كنت أصنع للأستاذ؟

أكنت أرد عليه شتائمه وأكيل له صاعاً بصاع؟ إذن فما أنا بخير الرجلين!

أكنت أنفي عن نفسي هذه التهم؟ ... لأنا إذن ظالم لنفسي فما هي مما يستحق النفي. وأنا أعرف نفسي ودوافعها في الحياة — وهذا حسبي — وهناك مئات يعرفونني معرفة الحقيقة والتقدير، وهنالك ألوف يعرفون بالقراءة ونقد الكلام مايجب أن يعرف، فما بي من حاجة بعد هذا كله إلى كلام

ولقد رددت على الأستاذ سعيد العريان ماعرض بي من جهل بأدب الرافعي. ولم أرد على الأستاذ شاكر فيما عرض بي من

شتائم خلقية ، إذ كان الأول بسبب من الموضوع الذى أتحدث فيه ، وإذ كان بيني وبينه من الصلات ما يبيح لى أن أتعتب عليه بشدة . فأما الأستاذ شاكر ، فلم يكن له عندى هذا ولا ذاك ، فتركته يقول :

على أنه ماذا يورد من حجة على انزلاقه إلى الطعون الشخصية الوبيلة ؟ إنه حديثي عن الرافعي الميت فى إبان ذكراه الأولى

ولقد لقيني أديب كبير بعد هذا ، فقال يتفكه : إن هؤلاء الجماعة يجلسون فى المآتم ويرجمون المارة بالحجارة ، فاذا رجمهم الناس ، صاحوا وولولوا ، وملأوا الدنيا تسخطاً ونعياً على الأخلاق لأن الناس لا يقدرون حرمة المآتم ، وهم الذين استهانوا بهذه الحرمة حينما رجموا المارة !

ولقد كان ذلك فكاهة وحقاً !

فالمسألة أن الأستاذ سعيد العريان كان يكتب عن الرافعى ، حتى لقد بلغ رقم مقالاته السادس والعشرين ، فما رأيت ما يدعو أن أكتب أو أعلق ، فهو صديق وتلميذ يقوم بحق الوفاء ، وهو على هذا مشكور مبرور ؛ ولكنه بعد ذلك انحرف عن نهج المؤرخ إلى نهج الناقد ، فقال عن نقد الرافعى لوحى الأربعين إنه منزه عن العيوب ، وقال عن رد العقاد إنه سباب وشتائم ، فكان ذلك حكماً لا تاريخاً ؛ وقال عن دوافع العقاد للرد وطريقته كلاماً لا يصدق على العقاد ، ويخطئ تفسير دوافعه فى الحياة حسبما أرى ، وأنا بذلك أدرى

وعندئذ فقط تدخلت ، لأعيد إلى الأذهان شيئاً من النقد « المنزه عن العيوب » ولأفسر دوافع العقاد وخطته فى الحياة ، ولأبين الفوارق الأصيلة بين مدرسة العقاد ومدرسة الرافعى فى الأدب وفى الحياة

هكذا كان تدخلى ، وهو مفهوم ، ولم تكن هناك حاجة للتخمين والتأويل

***

وهو « ثانياً » شاء أن يدافع عن الرافعى ، وأن يثبت له ما نفيت عنه من الطبع والعقيدة فقال كلاماً لا أحسبنى قلت سواه فيما كتبت !

فهو قد قال : إنه كان للرافعي رأى فى أدب العقاد غير ما أبداه وإنما الملاحاة وحب الغيظ والكيد ، هى التى جملته يقول ما قال .

وحكم على العقاد كذلك بما حكم به على الرافعي

فأما الشطر الأول فهو اعتراف يؤيد رأيى ، فى أن الرافعي لم يكن يصدر عن عقيدة فيما يكتب . وذلك حسبي

وأما الشطر الثانى فهو الذى أنكرته من قبل على الأستاذ سعيد ، وهو الذى لا زلت أنكره ؛ لأننى أعلم من حقيقة رأى العقاد فى الرافعى ، ما يؤكد نعته له ، ورده عليه . وما كان هذا الرأى ليختلف لو لم تقع بينهما جفوة وملاحاة ، إن صح أن التعبير عن هذا الرأى كان يمكن أن يتغير ، من لفظ قاس مكشوف ، إلى لفظ لين ملفوف

وليس العقاد هو الذى يبدى رأياً ويبطن آخر ، فهو رجل عقيدة يهمه التعبير عنها ، ولو لاقى فى ذلك كل عنت وملاحاة

هذا رأيى فى صاحبى ، لا زلت أنافح عنه ، وذلك رأيه فى صاحبه وهو به أعرف !

***

وهو « ثالثاً » أخذ نفسه بابطال ما أوردت من نقد لنقد الرافعى . فلننظر ماذا قال

إنه راح يتقصى ماقيل فيما يقرب من قول العقاد :

فيك منى ومن الناس ومن كل موجود وموعود تؤام

سائراً فى تقصيه على النسق الخالى من كتب النقد العربي لقدامة وأبى هلال العسكرى ، ومن ينقلان عنهما ... من تتبع المعنى تتبعاً زمنياً ، وحسبان كل شاعر متأخر أخذ هـذا المعنى عن شاعر متقدم ، وزاد فيه أو نقص ، وتصرف أو ولد ... الخ

وليس هنا مجال انتقاد هذا المذهب فى النقد ، ولكنى أكتفى باثبات سوء رأيى فيه ، وظنى به القصور والجمود

إنما يهمنى ما قال الأستاذ من أن العقاد ذكر « من كل شىء » دون أن يضع للفظ المطلق شيئاً من الحواجز والحدود التى تمنع إرادة الاطلاق والتعميم ، فلم يبق إذن بد من أن يفهم الرافعى ، وأن يتابعه هو فى الفهم ، أن « من كل شىء » تشمل ما ذكر من قاذورات وأوحال

ويبدو لى أن الحواجز والحدود المقصودة لا يمكن أن تكون إلا من نوع الحواجز التى توضع للخيول والكلاب فى السباق ، أو الحبال والأسلاك الشائكة التى تصدم الجسم وتخز اللمس !

ويبدو لى كذلك أن « الذوق الانساني » الذى يمنع إرادة مثل تلك المقاذر ، هو الأمر الوحيد الذى لا يحسب حسابه عند الرافعى وبعض متابعيه . وإلا فقد كان حسب الأستاذ أن يحيل حديث الرافعى فى هذا إلى ثورة حقده، وحبه للمكيدة والاغاظة، فيخرج من تلك الأشواك التى ألقى بنفسه فيها دون حساب !

ثم ماذا ؟

ثم ذكرنى بشىء كنت قد نسيت الالمام به ، بعد ما التفت خاطرى إلى فساده وسوء دلالته على فهم الرافعى للأدب الحى . وذلك بقية ما كان قد عقب به على هذا البيت من أن أعرابياً قال وقال ... فجعل حبيبته «أصفى شىء ، وأغلى شىء ، وأسعد شىء»

هذا فى الواقع مفرق الطريق بين الرافعيين والعقاديين ؛ أو بين المدرسة القديمة والمدرسة الجديدة على الاطلاق . ولا بأس من توفية الكلام فيه بعض حقه ، وربما عدت إليه فى كلمة منفصلة أو فى ثنايا كلمات أخرى

المبالغة عند المدرسة القديمة هى مناط البلاغة ، لا يستثنون من هذا إلا ما اعتبروه مغالاة ، تمس العرف أو الدين ، أو تناقض الحس والمشاهدة . والصدق الجميل هو مناط الاستحسان عند المدرسة الحديثة

فليس يهم الشاعر المجدد فى هذا العصر أو فى قديم الزمان ، أن يجمع فى حبيبته كل ما تفرقه الأوصاف فى الجميلات ، ولكن يهمه أن يصور محاسنها هى ، الخاصة بها ، وأن يعبر عن شخصيتها ومميزاتها كما هى فى نفسه

ومن هنا يختلف فى وصفه حبيبة عن حبيبته، لأنه لا يتحدث عن تمثال من الرخام ، ولكن عن إنسانة حية تعيش فى نفسه بمميزات خاصة . هذه المميزات قد يكون بعض العيوب فيها أعز على نفسه من بعض المحاسن ، وأدعى لتعلقه بها ، كالوالد لا يحب أبناءه لهدوئهم وآدابهم وحدها ، وقد يكون الطفل المتعب أو الشاذ أكثر استمتاعاً بعطفه ، وقد يكون حبه لهم على حسب ما بذل مع كل منهم من جهد ، وما أنفق من علاج ، وتلك من أسرار النفس الانسانية

الصدق الجميل ، الذى يعبر عن الحقائق النفسية ، ويصور الحياة المتدافعة المتماوجة هو الذى أملى على العقاد ما كتب عن حبيبته ، لأنها كانت هكذا فى نفسه ؛ فما يهمه أن يختار لها أجود النعوت ، وأحسن الأوصاف ، بقدر ما يهمه تصويرها على حقيقتها فى نفسه

فمن شاء أن يلتمس المبالغة وجمع الصفات المستحسنة وحدها من كل ما يتخيل فيه الجمال ، فسبيله إلى ذلك شاعر آخر غير العقاد ، ممن لا يحبون بقلوبهم وأعصابهم ، بل بآذانهم وأسماعهم. وهذا مفرق الطرق ، والرمز الذى لا يخطىء فى تمييز المدرستين

ثم شاء أن يتحدث عن قصة « قزح وقوسه » على مثال ما تحدث عن « من كل شىء » فلم يشأ أن يفهم ما فى هذه الدعابة من ظرافة وحيوية ، لأن « قزحاً » هذا ليس « مشهوراً » بالجمال حتى تصلح المقابلة بينه وبين الجميلات

فهنا رجل يتصدى للنقد ، ولكنه يتوكأ على أحكام السلف ، فان وجد فيها أن قزحا مشهور بالجمال فذاك، وإن لم يجده مشهورا فلا يمكن أن يكون جميلا ، ولا يستطيع هو أن يرى إن كان هكذا أو كان قبيحاً ، لأنه لا يستمد النقد مما يحس ويرى ، ولكن يستمده مما يقرأ ويحفظ

ومثل هذا لا نطمع أن يماشى العقاد فى سموه وتفرده ، ولا أن يتابع كذلك شروحنا للعقاد وطريقته ، ولكنى سأتحدث لمن يشاء أن يستمع

إن العقاد فنان دقيق الحسّ فى تمييز الألوان والأضواء والظلال ، وفى نفسه غرام بالنور يجعله يلتفت أبدا لومضاته وخفقاته (وقد وفيت شرح هذا فى محاضرة لى عن وحى الأربعين عام ١٩٣٤ نشرت وقتها بالجهاد ، فليرجع إليها من شاء)

ومن هنا كان انتباهه لقوس قزح وألوانه وأطيافه ، وكان تشبيه « مطارف الحسان وطرفهن » بهذه الألوان والأطياف ، التى زاحمن قزحاً عليها حتى ظفرن بها منه ، فألقى لهن بها وأدبر وانصرف ! ومن هنا كانت الظرافة والحيوية التى حسبنا الاشارة إليها تكفى أول مرة للفت النظر والفهم ، فأخطأنا التقدير

وقد فهم الأستاذ شاكر أننا نعنى بتلاعب الرافعى بالألفاظ ، أنه قال مرة إن قزحاً لا يفصل عن قوس ثم عاد ففصلها ! وما إلى شىء من هذا قصدت ، وما كان يمكن أن يفهم ما قلته على هذا الوجه . إنما عنيت بالتلاعب أن يترك الناقد هذه الظرافة فى الحس

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدينة

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ...

— ١٣ —

أحس لنكولن ذلك فهو وإن لم يكن يعرف الذهاب بنفسه يدرك اليوم أن قد صار له فى السياسة مكانة الزعماء ، فلقد انتشر اسمه خارج مقاطعة الينوس وتقبله الناس بقبول حسن ، فهم يضمرون لصاحبه المودة والإجلال . رشحه رجال الحزب الجمهورى فى مؤتمرهم الأهلى أثناء الانتخاب لمركز نائب رئيس الولايات على غير سعى منه إلى ذلك فنال من الأصوات عشرة ومائة وهو بعيد ؛ فلما جاءه نبأ ذلك تبسم ضاحكا وقال : « حسبت أول الأمر أن هنالك رجلا آخر عظيما فى مساشوست يدعى لنكولن »

ولقد تألمت نفسه وانكدرت لذلك الحكم ؛ تلمح ذلك فيما عقب به عليه ، إذ أخذ يقارن حال العبيد يومئذ بما كان يرجى لهم غداة إعلان الاستقلال قال : « فى هاتيك الأيام كان إعلاننا الاستقلال أمراً يعتبره الناس جميعاً مقدساً كما اعتبروه ينتظم الجميع ؛ أما اليوم فقد هوجم وسخر منه وأوّل وفق الأهواء ، ومزق شر ممزق ، حتى لو أنه أمكن أن يبعث صانعوه اليوم من مراقدهم لما أمكن أن يتعرفوه ؛ وذلك بما فعلنا من محاولتنا جعل عبودية الزنجى أمراً عاماً أبدياً . فإن جميع قوى الأرض لتظهر كأنها تتحدسر بما عليه ؛ فالـه المال (ممون) فى أعقابه ومن ورائه الطمع ، ثم من وراء هـذا الفلسفة ، تتلوها جميع نظريات العصر التى تتكاتف جميعاً فى سرعة لتؤيد الصيحة ضده . لقد ألقوا به فى سجنه بعد أن فتشوه ولم يدعوا فى يده أى آلة ينقب بها الجدار ؛ وأغلقوا عليه الواحد بعد الآخر أبواباً ثقيلة من الحديد ؛ والآن يذرونه فى سجنه وعلى بابه قفل من الحديد ذو مائة مفتاح ، لايمكن فتحه إلا أن تتفق على ذلك كل هاتيك المفاتيح ؛ وإنها لفى أيدى مائة من الرجال مختلفين مبعثرين فى مائة مكان مختلفة سحيقة ؛ وإنهم ليفكرون فوق ذلك ليتبينوا أى اختراع فى كافة نواحى العقل والمادة يمكن أن يضاف إلى ذلك ليكون استحالة هربه أكثر توكيداً مما هو عليه .

وحق لأبراهام أن ينطلق لسانه بمثل هـذا الغضب ، وأن تجزع نفسه لهذا الحكم فإنه ليراه ينطوى على كثير من المعانى وكلها على غير ما يحب لحزبه الوليد وللقضية الكبرى التى يتوقف على مآلها مصير البلاد . أليس يقضي هذا الحكم بأن المجلس التشريعي للولايات هو الذى يحدد من غير قيد ماذا تكون عليه حال الولايات من حيث مسألة العبيد ؟ وإذاً فما قيمة اتفاق سورى ، ثم ما نصيب هذا الحزب الجديد من القرب أو البعد من روح

والخيال ، ويعنى بتخريج الألفاظ اللغوية ، غافلاً عن النكتة المقصودة من فصل « قزح » عن « قوس » أو متجاهلاً لها ، وهو ما صنعه الرافعى

أما ما ذكره الأستاذ شاكر من قول شوقى ورأي العقاد فيه فالأمر فيه مختلف جداً . فشوقى فى بيته لا يذكر « قوس » أى ذكر ، وإنما يورد « قزحا » وحدها ويقصد بها « قوس » كما يفهم من معنى البيت :

قصراً أرى أم فلكا وشجراً أم قزحا ؟

فكان الحق مع العقاد أن يقول : « ولا تذكر قزح إلا مع قوس » ولكنه لم يوجب فى قوله هذه ألا تفصل منها كما أوجبه الرافعى خطأ . وفرق بين تحتيم ذكرهما معاً وتحتيم اتصالهما كما لابد أن يفهم الأستاذ !

على أنه يبقى بعـد ذلك كله أن كلام شوقي لم يكن يتضمن « نكتة » خاصة كالتى تضمنها كلام العقاد ، وتوجيه الكلام يقتضى بعض التصرف فى عرف الأحياء !

هذا حديث قد أطلت فيه ، ولكنه ليس موجها لأن يكون رداً على الأستاذ شاكر فيما كتب ، وإلا فالمسألة أهون من هذا ؛ إنما أردت به تصفية الموقف فى طرق النقد ، وما يجب أن يتوفر لها من فهم ودقة ويقظة ... وحياة !

(حلوان) سيد قطب

القانون وهو الذى يجمل اتفاق سورى القاعدة التى يصدر عنها فى أعماله ؟

إنها فى الحق لمعضلة ؛ ولكن هل كان يضيق هـذا القلب الكبير بالمعضلات ؟ وهل يتخاذل إيمانه لدى الصعاب وهو الذى يفل الصعاب وينهض لجسيمات الامور ؟ كلا ، إنه ليحس قوة نفسه تعظم بقدر ما تعظم الشدائد . وهو كغيره من أولى العزم من الرجال لا يتذوق حلاوة النصر إلا فى مرارة القاساة ...

وظلت الأحداث تأتى بعضها فى أثر بعض ، فهذه كنساس تتوثب فيها الفتنة ويتحفز الشر ، راحت تضع لها دستوراً فأخذت تختار من رجالها من يعقدون مؤتمراً لهذا الغرض ، فانظر كيف يحال بين الأحرار وبين أمانيهم بالقوة المادية فيجرى الانتخاب فيهـا على صورة تشمر النفوس البريئة بالألم اللاذع أن ترى الأغراض الوضيعة تنزل فيها بالعقلاء من البشر إلى مرتبة البهائم ، وبيت النـاس وكأنما لم يكن الوجدان يوماً ناحية من نواحى نفوسهم . فهم فى ضراوتهم وبهتانهم يظهرون فى مظهر تخجل منه الآدمية التى تشمر بحقيقتها

ويأبى الرئيس بيوكانون إلا أن يعتمد قرار المؤتمر فيقبـل الولاية فى الاتحاد على أنها إحدى الولايات التى تأخذ بنظام العبيد كما جاء فى دستورها ! ولشد ما تألم لنكولن لهذا ، ولـكنه كان عنده ذلك الألم الذي يلد العمل ويبتعث الأمل ويغرى المجاهدين بالجهاد ؛ ولو لا أن كان من المؤمنين الصادقين لتطرق إلى نفسه الوهن ومشى في عزمه اليأس ...

ووثب لمناهضة دستور كنساس رجل آخر يعد موقفه فى ذلك غريباً لأول وهلة ، وذلك هو دوجلاس عضو مجلس الشيوخ ومنافس لنكولن الشديد البأس . رأى أن قرار المحكمة العليا قد قضى على ما راح يدعو إليه من توطيد مبدأ سيادة الولايات في تقرير مصائرها . ذلك المبدأ البراق الذى ظل يخلب به الألباب ويلوح به لأهل الجنوب ليكونوا عدته في الوصول إلى الرياسة . ولقد بات من أمره فى حيرة شديدة ، فهو يخشى أن يفقد محبة أهل الجنوب إذا عارض دستور كنساس ؛ بينما هو يخشى كذلك أن يفقد ثقة أهل الينواس إذا هو نسى مبدأ سيادة الولايات وسلطانها فيؤدى ذلك إلى خذلانه فى الانتخاب لمجلس الشيوخ وقد أوشكت مدته فيه أن تنتهى ...

ولـكنه آثر الآن أن يحرص على ثقة أهل مسورى فأعلن عداءه لدستور كنساس ، ووقف يحمل عليه فى المجلس حملات شديدة بعثت فى قلوب الديمقراطيين الغيظ وأثارت فى عقولهم الدهش ، فهذا الرجل الذى يعدونه من أقوى رجالهم لا يستحي أن يخرج عليهم على هـذه الصورة ولا يتورع أن يعارضهم فى فى غير هوادة كأنما انقلب بغتة فصار من رجال الحزب الجديد !

ولقـد هلل بعض زعماء الحزب الجديد لموقف دوجلاس واستبشروا به ، بل لقد أخذوا يمهدون السبيل لانضام دوجلاس إلى حزبهم ليزدادوا به قوة ومنعة ! وراح جريلى أحـد رجال الصحافة من قادة هذا الحزب يدعو القراء إلى انتخاب دوجلاس وأخذ يثني على صفاته ويتوخى فى مديحه الأطناب والمغالاة . وكان هذا الرجل من أشهر رجال الصحافة فى الشمال وكانت له عند الناس مكانته ؛ كما كان لصحيفته عدد كبير من المعجبين

ولـكن ابراهام قد أنكر على نفسه أن يقبل ذلك من رجال حزبه . وهنـا تعود للظهور خصلة من أبرز خصاله ألا وهى الاستقامة إذا صح أن تعبر هذه الـكلمة عن المعنى الذى نريد ، والذى نراه ينحصر فى إطلاق النفس على سجيتها وسيرها على نهج من فطرتها فى غير تناقض أو تذبذب أو اضطراب . وما كان ابراهام يتكلف شيئاً لا يتحرك به وجدانه أو تستشعره نفسه ، ومن هنا كانت خطواته بطبيعتها مسددة إلى الغاية مفضية إليها مهما كثر ما يعترضه من الصعاب . ثم من هنا كان خطره إذا تحرك . انظر إلى قوله حين سمع بتلك الدعوة الجديدة : « لقد أتى جريلى نحوى بما لا يعد عدلا . إنى جمهورى من صميم الجمهوريين ولقد وقفت دائماً فى طليعة الصفوف عند المعركة . والآن أراه يفاوض دوجلاس خير من يمثل رجل الاتفاقات ، ذلك الذى كان مرة آلة أهل الجنوب والذى هو اليوم أحد معارضيهم ؛ ذلك هو الرجل الذى يحاول أن يضعه فى صفنا الأمامى ... انه يحسب أن مكانه الرفيع وشهرته وتجاربه ومقدرته إذا أحببت تقوم مقام حاجته إلى مركز جمهورى خالص ، بل وتزيد على ذلك ... ولذلك فأن إعادة انتخابه على أن يمثل قضية الحزب العامة أجدى علينا من انتخاب من هو خير منه من رجالنا الجمهوريين

الخلص الذين ليست لهم مثل شهرته ؛ ماذا تعني «نيويورك تريبيون» بذلك الاطراء والاعجاب والتعظيم الذي تزجيه دائبة لدوجلاس ؟ هل تعبر بذلك عن شعور الجمهوريين في وشنجطون ؟ هل وصلوا نهائياً إلى أن قضية الحزب الجمهوري على العموم تتقدم خيراً من ذي قبل بتضحيتنا هنا في الينواس ؟ إن كان ذلك كذلك فنحب أن نعلمه عاجلا ؛ على أني إلى الآن لم أعلم بجمهوري هنا يرغب أن ينضم إلى دوجلاس ؛ وإذا استمرت « التريبيون » ترن باسم دوجلاس في مسامع الخمسة أو العشرة الآلاف من قرائها في الينواس فأن ذلك يكون أكثر من أن نأمل معه أن يظل الشمل مجتمعاً ؛ إنني لا أشكو ولكني أرغب في أن أصل إلى بينة من الأمر »

ذلك هو لنكولن اليوم ؛ انظر كيف يجمع بين منطق المحامي وحصافة السياسي ، وانظر كيف يدفع عن نفسه بما نشأ عليه من دماثة ما يحس فيه عدواناً على شخصه ونيلا من كرامته ؛ فهو يطيق أن يكون دوجلاس خصما له ولكنه لن يطيق أن يراه مرشح حزبه في الينواس ؛ نعم انه لن يستطيع أن يحمل نفسه على الركوب معه في قارب واحد يراه يأخذ فيه مكان الربان وهو فيما يعتقد لا يرى كفايته تتقاصر عن ذلك المكان

وأرسل لنكولن بعض أصدقائه إلى الأقاليم الشرقية ليروا ما حال الحزب هناك ؛ وكان من هؤلاء صديقه هرندن ؛ وقد عاد إليه ينبئه بأن اسمه يقابل بالاحترام لدى الكثيرين من قادة الحزب بيد أنه يحمل إليه مع ذلك أنباء لاتسره ؛ فرجال الحزب منقسمون بعضهم على بعض ، فأن جريلي آراءه ولستيورد أطماعه ولغيرهما من أساطين الحزب من أوجه الرأي ما يخشى منه انحلاله ...

هكذا صارت السياسة شغله الشاغل ، وهو لايستطيع اليوم إلا أن يكون كذلك ؛ لا لأنه يتخذ من السياسة وسيلة إلى تحقيق أغراض شخصية كما عسى أن يفعل غيره ؛ ولكن لأن عقيدة تحرك نفسه وتستثير وجدانه ، ولأن رسالة من الرسالات الانسانية الكبيرة ينبض بها قلبه الكبير . وهل عهدنا عليه من قبل ماتحمل معه اشتغاله بالسياسة على غير محمله ؟ حاشا أن يكون ذلك من صفات أمثاله وإلا فما أضيع البشرية وما أهون أمرها .

على أنه لم ينفض يده من المحاماة بعد ؛ لحرفته التي يكسب منها قوته لازالت حتى اليوم هي تلك الحرفة التي مال إليها بفطرته والتي ارتفع بها إلى مستوى إنساني يحق معه لأربابها جميعاً في كل جيل أن يذكروا اسمه كلما من أعلام المدنية، وأن يضيفوه إلى ما يعتبرونه في مهنتهم من دواعي الشرف وبواعث المفاخرة

ومن أفعاله في المحاماة يومئذ حادثة نرويها لدلالتها على ما كانت تنطوي عليه تلك النفس الكبيرة من المعاني الانسانية ، تلك النفس التي لم يتطرق إليها ما يتطرق إلى النفوس في هذا العالم الخبيث من خبائث تشوهها وأوشاب تذري بها وهي في حال غريبة، يحار معها هل تعدها آدمية أم تعدها بهيمية ؟

وقع بصره في إحدى الصحف على جريمة قتل يدعى أحد المتهمين فيها أرمسترنج ، فدهش وتساءل هل يكون ذلك ابن متحديه ثم صديقه القديم عند ما كان فتى يبيع في الحانوت وهو غريب في نيو سالم . ولما تبين له أنه هو كتب إلى أمه يقول : « عزيزتي مسز أرمسترنج : علمت الآن بألمك العميق وبالقاء القبض على ابنك متهماً بالقتل ؛ ويصعب على أن أصدق أنه عسى أن يرتكب ما اتهم به . إن ذلك لا يبدو ممكناً . وإني لأرجو أن يجري معه تحقيق عادل على أي حال ؛ وإن عرفاني بالجميل نحوك وما كان لي منك أيام شدتي من عطف طالت أيامه ليحدوني أن أتقدم في سماحة نفس بخدماتي المتواضعة لصالحه ؛ فإن هذا سوف يتيح لي الفرصة أن أرد بقدر ضئيل تلك المبرات التي نلتها على يديك وبدي زوجك المأسوف عليه ، حينما لقيت تحت سقفكم مأوى كريماً بغير مال وبغير ثمن »

وتبين لابراهام براءته فعمد في دفاعه إلى طمن حجج البطلين من الشهود . ومن ذلك أنه سأل أحدهم كيف رآه ينفذ الجريمة فأجاب إنه رأى ذلك على ضوء القمر ، فطلب المحامي نتيجة ، ومنها تبين للمحكمة أن ليلة القتل كانت ليلة معتمة ؛ ودار الدفاع حول تسفيه آراء الشهود حتى أصدرت المحكمة حكمها بالبراءة

« يتبع » الخفيف

الأنبــــاط

وأطلال بترا الخالدة

للاستاذ خليل جمعة الطوال

— ١ —



الأنباط قوم من العرب الساميين. ويذهب المؤرخ الشهير فلافيوس يوسيفوس، إلى أن نسبهم يتصل بنبايوت بن اسماعيل، ابن هاجر، (زوج سيدنا ابراهيم)،(١) ولكن المؤرخ الكبير مومسن يخالف هذا الرأى، فقد ذكر أن الآراميين قد انشأوا قديماً من رعاياهم مستعمرة فى خليج العرب لتربط طرقهم التجارية مع الجنوب. وقد نزح سكان هذه المستعمرة فيما بعد، واستوطنوا بترا الواقعة فى شبه جزيرة سينا، بين خليج السويس وأيلة، وأن هؤلاء الأنباط الذين يرجح أنهم أقرب إلى الفرع الآرامى منهم إلى أبناء اسماعيل(٢). ولكن مومسن لايذكر إلى جانب هذا الزعم، الذى اتفق جمهور المؤرخين على تخطئته، أسباب نزوح هؤلاء القوم، وتاريخ نزوحهم، ولا أشار إلى عدد النازحين منهم، وفى ذلك كله مجالٌ طويل للافتراض والشك ... على أنه مهما يكن من الغموض والاختلاف فى نسب الأنباط إلى نبايوت أو غيره، فان المصادرَ جميعها متفقة على نسبتهم إلى الفرع السّامى، بدليل طراز معيشتهم البدوية، وعاداتهم وتقاليدهم العربية، وبدليل أنهم كانوا يتكلمون العربية، ولمْ يتكلموا الآرامية إلاّ بعد احتكاكهم بالرومان(١). وتدل الآثار والنقوش النبطية الكثيرة التى اكتشفت فى مدائن صالح على أن خط هجرتهم إلى بترا كان من الجنوب إلى الشمال، أى أنهم نزحوا من أواسط سهوب البادية واستوطنوا جنوب الأمارة الأردنية الحاضرة، وكانوا حينما نزلوا يقيمون فى مضاربهم المصنوعة من الوبر والشعر؛ دون أن يعمدوا إلى الكهوف، أو إلى إقامة الأبنية الحجرية. وإن فى خروجهم من قلب البادية لأكبر دليل على ساميتهم، وعلى نسبتهم إلى أصل عربى. أماَّ المستر هورسفيلد فيخالف هذا الزعم في مبدإ هجرتهم، ويزعم أنها كانت من الشرق لا من الجنوب(٢)

كان الأنباط فى أول أمرهم يشتغلون بالقرصنة على سواحل البحار وبالسلب والنهب، ولكنهم عند ما سكنوا بترا وأجلوا عنها الآدوميين، وجهوا هممهم نحو التجارة، لأنّ بلادهم كانت معقلاً للقوافل التى كانت تسير بين أواسط آسيا ومصر، ومركزاً لتبادل المتاجر والبضائع التى كانت تمر بها من الجزيرة والهند، وأهمها التمر، والبن والأبسطة، وريش النعام، والعاج والبخور، والتوابل، والبهارات — بالمنسوجات والمصنوعات الخزفية، والحرير، والأدوات التى كانت ترد من سواحل فلسطين الفينيقية، ومن سوريا، ومصر، فأثروا من ذلك ثراء طائلا، واستولوا على جميع الطرق التجارية، واحتكروا النقل عليها بغير منافس مدة طويلة من الزمن، حتى كانت جواسقهم تفهق بالمال، وآبالهم تنوء بالخير والرزق، فتجردوا عن بداوتهم وبدأوا بالتحضر رويداً رويداً فزادت معنوياتهم وقويت شوكتهم وهيبتهم، حتى لقد خطب البابليون ودّهم وتحالفوا معهم فتخوف منهم الأشوريون وسيروا إليهم عام ٦٤٦ ق. م. قلة من جيوشهم فغلبت ملكهم ناطمو، وأخضعوه لسلطانهم حيناً من الزمن. ولما اعتلى أشور بانيبال العرش الأشورى، جرد جيشه ثانية وأعاد الكرة على البابليين، فالتقى بهم فى عزاليا (٦٤٠—٦٢٨ ق. م) وقد انضم إليهم الأنباط، فدارت بين الفريقين رحى الحرب، وكان النصر أخيراً للأشوريين عليهم، وذلك للمرة التاسعة. فأسروا امرأة

(١) راجع: The Works of Flovious Josephus

(٢) راجع: Mommsen: History of Rome. Vol. IV. P. 133

(١) راجع: Bouchier: Syria asa roman Province 1916

(٢) راجع: تاريخ شرق الأردن وقبائلها تأليف اللفتنت كولونيل فردريك ج. بيك

يوتحا وأخته وأمه ، وحملوهن إلى الشام، وقطعوا على الأنباط موارد الماء جميعها ، وذلك لانضمامهم إلى أعدائهم البابليين ، ولأنهم أجاروا ملكهم « يوتحا » ، ولما اشتد بهؤلاء العطش ولم تغنهم غن المال آبالهم المديدة التي نحروها، قبضوا على يوتحا وسلموه إلى أعدائه الأشوريين ، فأرسله إلى نينوى وشدوه من فكه إلى أحد أبوابها حيناً من الزمن

وفي عام ٣٣٤ ق . م . اكتسح الاسكندر المقدونى سوريا وفلسطين ، وكان الأنباط قد تحصنوا في بلدة غزة ، فلما جاءها قاومه النبطيون مقاومة شديدة ، ولكنه أخيراً تمكن من فتحها واكتساحها

وفي عام ٣١٢ ق . م . وجه ملك سوريا (أنتغونس) إلى الأنباط جيشاً لجباً مؤلفاً من ستمائة فارس وأربعة آلاف من المشاة وكان على رأسه القائد العظيم أثنيوس . فاخترق عمون ومؤاب بدون مقاومة ثم نزل بترا فجاءة واحتلها بسهولة، ذلك لأن الأنباط كانوا يقاتلون في بعض الجهات الأخرى ، ولما عاد جيش النبطيين من جهاده حمل على الجيش اليوناني حملة غماء الجبين ، وهزمه هزيمة منكرة ، واستأصل شأفته ، حتى لم ينج من ذلك الجيش الجرار سوى خمسين فارساً

ثم جهز أنتغونس جيشاً آخر مؤلفاً من أربعة آلاف فارس ومثلها من المشاة بقيادة ابنه ديمتريوس ، وسيره ليثأر لأبطاله من الأنباط ، ولكن النبطيين هجروا المدينة (بترا) بأبلهم وأرزاقهم ولجأوا إلى الصحراء ، ولما دخلها ديمتريوس لم يجد فيها سوى العجزة ، الذين افتدوا أنفسهم بالمال، ورجع عنهم إلى دمشق

وفي عام ٢٨٦ ق . م . ارتقى عرش مصر بطليموس الثاني فأغار على بلاد الأنباط غير مرة ولم يتمكن من اكتساحها فعمد إلى محاربتهم اقتصادياً ، إذ استولى على طريق تجارة الهند ، فانحطت معنوياتهم ، ونالتهم الأزمة ، ثم دخل البطالسة حرباً جديدة ضد السلوقيين في سوريا ، فاستغل النبطيون هذه الفرصة إذ استرجعوا مكانتهم الاقتصادية وبسطوا نفوذهم حتى بصرى شمالا وفلسطين غرباً ، وأخيراً عهد إليهم المصريون البطالسة (١) بحراسة الحدود المصرية ، فصاروا أمة ذات هيبة وشأن

أما أشهر ملوكهم بعد ناطمو فكان (أرطاس الثاني) ،

(١) راجع Journal of Egyption Archeslogy Vol. XV.

وفي عهد هذا الملك الذي امتد حكمه من (١١٠—٩٦) ق.م وفي عهد خلفائه : أوبيدس الأول ؛ وروبال الأول ؛ وأرطاس الثاني بلغت دولة الأنباط أوج رفعتها وعلائها، إذ كانت متمتعة بالاستقلال الناجز التام ، كما كانت اقتصادياتها في حالة ممتازة ، وفي عهد اسكندر جانوس عمت الفوضى والانحلال الحكومة السورية البيزنطية ، واشتدت كراهية السوريين للمستعمرين البيزنطيين ، حتى إنهم كانوا عوناً لكل خارج عليهم أوطامع في مناوشتهم ، ولذلك لم يلق الحارث فيلهلين (٩٥—٥٠ ق.م.) مقاومة عنيفة . حين زحفه على الشام . بل سرعان ما سلم له السوريون مقادة أمرهم ومقاليد دولتهم ، ليتخلصوا من ظل الارهاق البيزنطي المقوت . وقد تولى سوريا من بعد الحارث خمسة ملوك نبطيون ، وهم : مالك (٥٠ — ٣٨ ق . م .) وعبادة (٣٠ — ٧ ق . م) والحارث الثاني الملقب بفلوديموس (٧ ق . م — ٤٠ ب . م .) ومالك (٤٠ — ٧٥ ب . م) ودابل (٧٥ — ١٠٦) (١)

(١) راجع Palestin Exploroition P. 69

وقد كانت مملكة الأنباط ممتدة من جنوبي أرنون إلى مدائن صالح ، والجزء الجنوبي من شرقي الأردن الواقع شرق الخط الحجازي حتى دمشق وبصرى ، وجبل الدروز ، وفى عام ٦٧ ق . م . اتفق الحارث فيلهلين مع الفرس على أن يساعدوه فى استرداد بلاده التى اغتصبها اسكندر جانوس ، فجهز جيشاً مؤلفاً من الأنباط والفرس يبلغ (٥٠ ألف محارب) ، وسار على رأسه لحصار أرسبيلوس فى قصره ، ولكنه رجع من حصاره مغلوباً

وفى عام ٦٤ ق . م . بينما كان بومبى مشغولا بتسكين ثورة اليهود فى فلسطين ، جهز جيشاً بقيادة ماركوس سكوروس ، وسيره لمقاتلة الأنباط ، فتصادم معهم على شواطئ الأردن ، فناوشهم طويلا ، ولكنه لم يستطع قط أن يخترق بلادهم ويتوغل فى جنوبى شرق الأردن . وانتهت هذه المناوشات بتدخل انتباتر الكاهن اليهودى ، إذ استطاع أن يقنع الملك النبطى (الحارث) بأن يدفع لسكوروس القائد الرومانى مبلغاً معيناً من المال فدية لبلاده . (راجع تاريخ روما ص ١٣٨ — ١٣٩ لومسن) . وتخليداً لذكرى هذا الانتصار ضرب سكورس نقداً عليه صورة الحارث يقود جملا ، ويقدم إلى الرومانيين غصناً من الزيتون

وفى عام ٣٤ ق . م أهدى أنطونى ٦٧١ جزءاً من بلاد الأنباط إلى كيلوبطرا ، وهذه بدورها أهدته إلى هيرودس ؛ فكبر على الأنباط أن يروا بلادهم سلعة تتهاداها الملوك ، فجيش ملكهم المعروف « عالك » عساكره ، وانقض بهم على كيلوبطرا فانتصر عليها فى واقعة ، قرب السويس ، وأغرق أساطيلها التى كانت فى البحر الأحمر . ولما بلغ أنطونى خبر اندحار معشوقته ، جهز جيشاً عظيما وسيره بقيادة هيرودس ليثأر لها من الأنباط ؛ وكان ذلك عام ٣٢ ق . م فانتصر عليهم فى بادئ الأمر ، ثم امتد خط القتال حتى كاناثا وهناك أديل للأنباط من الرومانيين فى معركة حامية الوطيس ، ثم جهز هيرودس جيوشاً جديدة والتقى بالأنباط قرب مدينة عمان (عاصمة شرق الأردن الحاضرة) وفتك بهم فتكاً ذريعاً ، فانسحبوا حتى تحصنوا بأم الرصاص (قرب مدينة مأدبا) تدل على ذلك النقوش والكتابات النبطية التى اكتشفت فيها والتى يرجع عهدها إلى عام ٣٩ م

ولما اعتلى عرش الأنباط الحارث الثاني المعروف بفلوديموس أخذ يخطب ودّ الرومان الذين كان قد امتد نفوذهم إلى المملكة النبطية ، فزوج ابنته من هيرودس التراكى ، ولكنها لم تلبث أن طلقته هاربة إلى أبيها فى بطرا ، لأنها اكتشفت علاقاته الغرامية مع هيروديا زوج أخيه ، فاستشاط الحارث غيظاً لشرف ابنته وانقض على هيرودس وهزمه (١)

أما اليونان فقد ظلوا يهتبلون السوانح ويتحينون الفرص المناسبة ليثأروا من الأنباط لهزيمتهم عام ٢٥ ق . م . حتى كان عهد تروجن فجهز عام ١٠٦ ب . م . جيشاً لجباً بقيادة أولوس كرنيليوس ، حاكم سوريا ، وسيره إليهم ، فقضى هذا الجيش على تلك المملكة العظيمة التى دام عهدها التاريخى زهاء ستة قرون وأقصى آخر ملوكها وهو دابل عن العرش

(يتبع — شرق الأردن) خليل جمعة الطوال

(١) راجع : The Works of Jasephus Books XV. & XIII



فرنتس شوبرت

للأستاذ محمد كامل حجاج

أتشرف بالتحدث اليوم ألى قراء الرسالة الأفاضل عن عبقرية نادرة ونابغة عالمى فى الموسيقى وقد عرفه الشعب المصرى أكثر من غيره من كبار الموسيقيين من كثرة عرض فلمه « السانفونى الناقصة » ولا يخفى عليكم أن السينما لا تتوخى الحقيقة دائماً بل يتعمد الانحراف مبرراً موقفه ولو بأضعف الأسانيد المشكوك فى صحتها إن كان فى سردها ما يشوق النظارة أو يترك فيهم أثراً عنيفاً

ولد المترجم له فى ٣١ يناير سنة ١٧٩٧ على مقربة من فينا وعاجلته المنية فى ربيعه الحادى والثلاثين أى سنة ١٨٢٨ وقد ترك بعد هذه الحياة القصيرة كثيراً من مختلف أنواع التلحين إذ بلغت مؤلفاته فى طبعة Mandezewiski سنة ٩٧ — ١٨٨٥ أربعين مجلداً

ولع منذ نعومة أظفاره بالموسيقى فتلقى تعليمه الأول على ميشيل هولزر وأخذ يدرس فى الوقت نفسه البيانو وعدة آلات وترية حتى أتقنها ، وعهد إليه بدور الكمان الأولى فى الأوركستر وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، ثم تلقى دروس الأرمونى على أورجانست البلاط الأمبراطورى Rueziczka وتلقى الغناء والتلحين على ساليرى Salieri مؤلف أوبيرا دانايید Danaides

ولقد أحصى ما ألفه فى سنة ١٨١٥ وكان فى ربيعه الثامن عشر فوجد ٦ مؤلفات للمسرح وقداسان و Stabat Mater و Salve regina (وهما نوعان من الموسيقى الدينيـة) و١٢ Wiener Deusche و ٨ Ecossaises و ١٠ تنويعات للبيانو و ٢ من السانفونى و ٤ سوناتات وأكثر من ١٣٠ من الأغانى المعروفة بالليدر فيكون المجموع ١٧٦ قطعة . وقد قال عنه بيتهوفن وهو على فراش الموت : « إن فى هذا العقل لشرارة ربانية »

كان أبوه صاحب مدرسة وتزوج مرتين رزق فيهما من الأبناء والبنات ثمانية عشر . وإنه لمن الصعب أن يميز الإنسان أدوار حياة قصيره ؛ ولكننا نستطيع أن نعتبر منها تاريخين بلغ فيهما أعلى ذرى مجده وهما سنة ١٨١٩ التى ظهرت فيها قطعته المشهورة « شكوى الراعى » وسمعها الجمهور لأول مرة وحازت قبولاً عظيما وعام ١٨٢١ إذ مثلت فيها « ملك الأون » Roi des Aulnes وهى من أوبيراته الشائقة وقد غناها المغنى المشهور ميكاييل فوجل ، ومن هذا العهد ذاع صيته وملأ الآفاق . ولقد كان مثل موزار فى ذكائه المشتعل فى صباه المبكر ، ويظهر أن القواعد الابتدائية للفن قد نقشتها الطبيعة في عقله فما كان منه إلا أن يشعر بتطلبات الظروف مثل مبادئ العقل والأخلاق

ولقد قال أستاذه هولزر : « بمـاذا أستطيع أن أفيده ؟ إذ حينما أريد أن أعلمه شيئاً وجدته عالماً به من قبل » . ولرخامة صوته وذكائه الموسيقى عين منشداً فى كورس كنيسة الامبراطور وانتظم فى سلك طلبة المعهد الموسيقى الملحق بها إلى أن خرج منه سنة ١٨١٣ ، ثم جعله والده مساعداً له فى مدرسته ولبث فيها ثلاثة أعوام ولما كثر المعجبون به أرادوا أن يعرفوه للناس فأرسلوا جانباً من الليدر التى كتبها إلى جوته ولكنه لم يرد عليهم ، فلم ييأسوا وأرسلوها إلي المغنى الشهير ميكاييل فوجل فدهش منها وطفق يحضرها ويغنيها

وفى سنة ١٨١٨ استدعاه الكونت استر هازى ليعلم ابنتيه فذهب إلى قصر Zelesz بالمجر وقضي فيـه الصيف فى هناءة وسرور معجباً بتلميذتيه . إن أعظم المراجع التاريخية لم تذكر شيئاً عن غرام شوبرت بكارولين ابنة الكونت استر هازى والبعض قال : إن هذه الاشاعة مشكوك فى صحتها إذ لم يؤيدها

أحد وغاية الأمر إنهم استنتجوا هذه الاشاعة من عناوين بعض القطع كالوداع وغيرها

وفى نوفمبر سنة ١٨١٨ رجع إلى ڤينا ورفض متابعة التدريس وطرده والده ، فأواه أصدقاؤه وتدبروا له فى شراء بيانو . فكان يستيقظ مبكراً ويبتدئ التلحين فى الساعة السابعة صباحاً ويستمر إلى الأولى بعد الظهر فى الخلاء أو فى المدينة أو فى نزهة أو فى المقاهى ، وكان يمضى السهرة كلها مع أصدقائه الحميمين مثل : Spaun و Lachner و Schober و Senn و Bauernfeld وغيرهم . وكانت هذه الفئة من الموسيقيين والشعراء يصرفون الليل فى إلقاء الشعر والغناء ، ويشربون ويمرحون ، وكانت كؤوس الجعة تدور طول ليلهم وفى بعض الأوقات يرقصون ، وكانت حفلات الشباب هذه الأدبية يعيدها شوبرت إذ كان لها بمثابة الروح للجسد ، وأطلق عليها اسم : « شوبرتياد »

وقال صديقه Spaun « كنا جميعاً أخوة أصدقاء » وكان شوبرت يحب أصدقاءه حباً جماً حتى أنه كان يسكن معهم ويشاطرهم ملابسه ونقوده . وكان يحب اجتماعات الفتيات ويرتاح لسمرهن ولكنه كان يتحاشى أن يقع فى حبائل الحب أو يعكر صفوه وخياله بآلامه لأنه كان يطمح إلى الرقى لأعلى ذروة فى الموسيقى

وفى أبريل سنة ١٨٢١ تعاون أصدقاؤه على طبع كراسة من الليدر فى محل Cappi et Diabelli وكتب السانفونى التى من مقام Si mineur ، وهى من أعمق مؤلفاته . وقد حاول أن يقترب من بتهوفن ولكن هيهات الوصول إليه

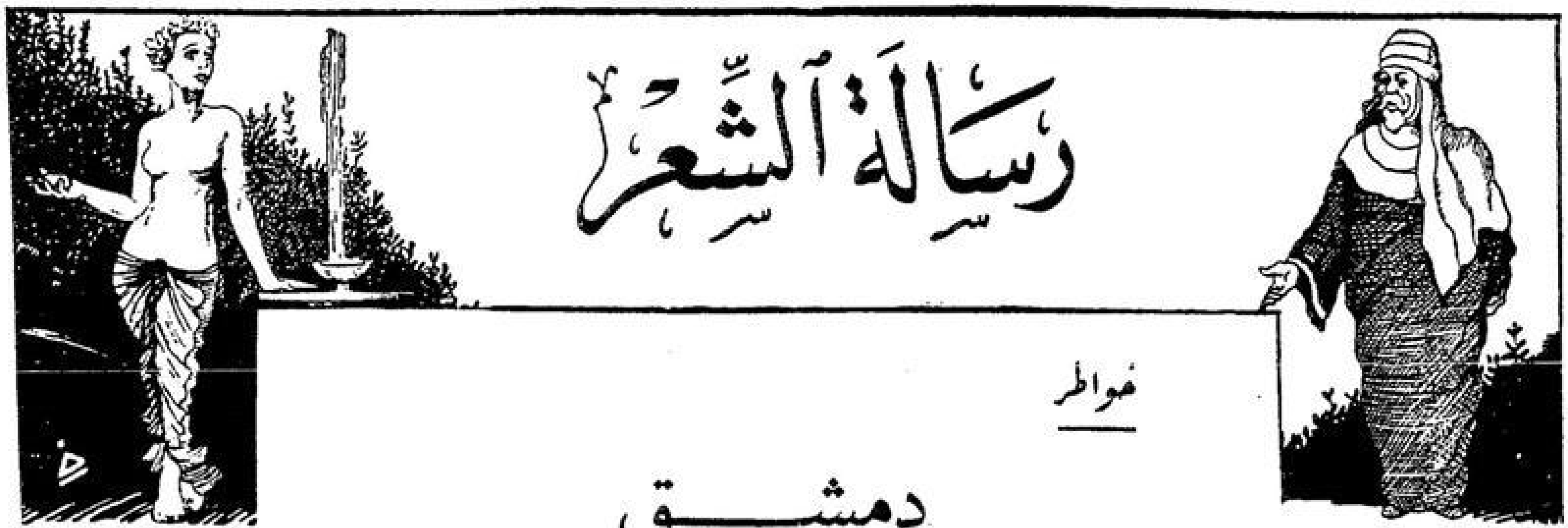
أصابه مرض شديد سنة ١٨٢٣ فخاب رجاؤه وانقطعت آماله فقال فى إحدى رسائله : « إننى لأتعس وأشقى رجل فى العالم ، فتصور بائساً لا تعتدل صحته قط ، وقد خابت آماله ولم تسبب له مسرات الحب والصداقة إلا المتاعب والآلام ، ولا أدرى إنساناً يفهم آلام أو سعادة مثيله . ويظن دائماً أن الواحد يتجه دائماً نحو الآخر وغاية الأمر أنهما يسيران جنباً إلى جنب ، فيالعذاب من يشعر بهذه الحقيقة المرة المؤلمة

رفضوا له أوبيرتين وهما « المتآمرون » و « فيرابراس » ولكن الرحلة التى قام بها مع المغنى الشهير ڤوجل فى النمسا العليا قد صادفت نجاحاً عظيماً

وبعد عودته كتب ليدر « الطحانة الجميلة » وفيها صورة حية ناطقة للآلام الانسانية ولكن أوبيرا Rosamunde التى مثلت فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٢٣ وكان عليها إقبال عظيم لم تمثل إلا مرتين ساورته الكآبة والحزن لتدهور صحته وفقره ، ولسوء حظه ما كان يجد من يشترى تآليفه ، ثم ذهب سنة ١٨٢٤ إلى قصر الكونت استرهازى وقضى به فصلاً ثانياً وكان يبحث فى مخيلته عن شىء يتعزى به وكان يتصنع السرور رغماً عن كآبته وآلامه ، استمر فى العمل ولم يهجر المسرح وقد ربطته عرى الصداقة مع المغنية الشهيرة أناملدر هوبتمان وكانت تغنى فى مسرح « ملك بروسيا » . ثم قام برحلة جديدة مع ڤوجل المغنى ورجع ومعه عدة مخطوطات ثم أرسل إلى جوته كبير شعراء الألمان ثلاثاً من الليدر فلم يرد عليه وحاول أن ينال وظيفة الرئيس الثانى لكنيسة الملك فأخفق

(البقية فى العدد القادم)

محمد كامل حجاج
عضو مؤتمر الموسيقى العربية



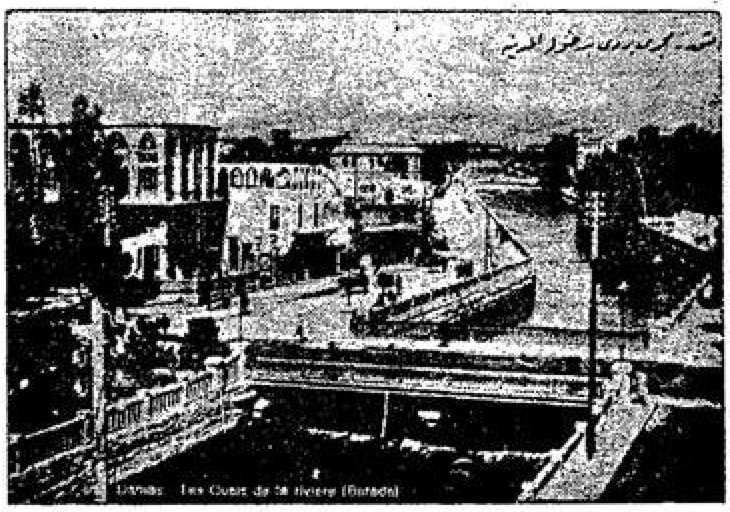
خواطر

دمشق

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

الى صديقى العلامة الأستاذ محمد كرد على ذكرى
احتفائه بالاخاء وتكريمه للصداقة ... ...

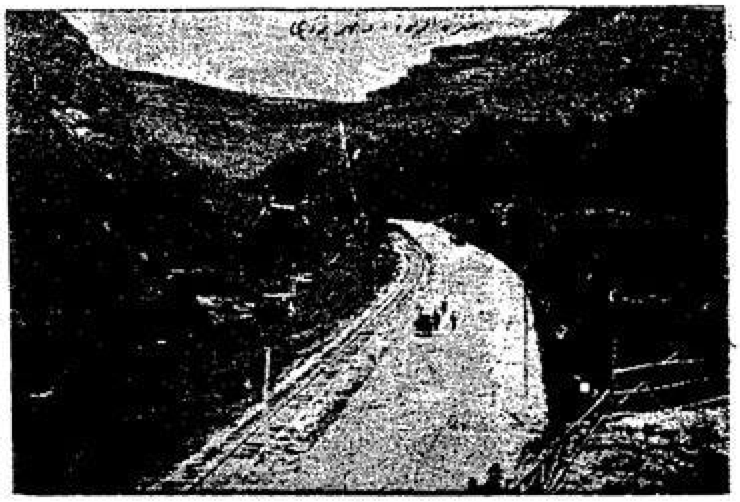
مَنْ عَذيرٌ من الهوى ومُجيرُ ؟   فَضَحَ الشّوقُ ما أجَنَّ الضميرُ
أنا فى قبضة الجَمالِ نخُودٌ   تَستبيني وروضةٌ وغديرُ
كلُّ بيضاء فى لواحظَ سُودٍ   رفَّ فى خدّها الدمُ المستحيرُ
فى قَوامٍ لَدْنِ المعاطفِ ريّا   نَ وخَصْرٍ من الضّنى يستجيرُ
وصِبا ناضرِ الشبابِ غذاه   تَرَفُ العيشِ والنعيمُ الوثيرُ
وأديمٍ مُنعَّمٍ فى حَبيـــرٍ   يوهم العينَ ماؤه والحبيرُ
لمَا كالسَّرابِ شفَّ فلم تَدْ   رِ أماءٌ لألاؤه أم نورُ
تنفثُ السحرَ فى الحليِّ فيشجى   وتثير الهوى به فيثورُ
ولقد زانها النفُورُ ، وحُسْنُ الـ   ـحُسْنِ فى الغادة العَروبِ النفورُ
كرَّمَ اللهُ وجهَ كلِّ نوارٍ   صانها الطُّهرُ والحياءُ الوقورُ !
لى من هيكلِ الجمالِ المعاني   ولغيري ألفاظُهُ والقشورُ !



***

هذه (جِلّقٌ) ، تباركَ ربى !   بلدٌ طيّب وربٌّ غفورٌ
الهوى والهواءُ ، والجدولُ الرّقـ   ـراقُ والروضُ والسّنا والحورُ
حيثُما تغتدي فروضٌ أريضٌ   عنبريُّ الشّذا وماءٌ نميرُ
وظِلالٌ ممدودةٌ وهْىَ تَندَى   وشعاعٌ يرِفُّ وهْوَ مُنيرُ
من سَنا الشمس فوقَها ومن الزُّهْـ   ـرِ دنانيرُ عسجدٍ وعَبيرُ
يُقتَلُ القيظُ فى ذَراها ولكنْ   فى ذَراها يحيا الهوى ويَسُورُ
جئتُ آوي من الحَرُورِ إليها   وإذا فى الحشا يشبُّ الحَرُورُ
أنا منها ومن مَهاها اللواتى   يتكسَّرْنَ رقةً ، مسحورُ

***



وطنُ العُرْبِ جنّةٌ و(دمشقُ)   رفرفٌ أقدسُ المَطافِ طهورُ

شرقتْ بالرؤى مسارحها الخضـــرُ وروّى نعيمهنّ السرور

* * *

رُبَّ نادٍ تخذتُه فى الروابى أقرأُ الحسنَ ثم وهو سطورُ
فعلى (الغوطتين) والشمس تبدو وعلى (النيّرَيْن) وهى تغور
فإذا (جلّقٌ) رياضاً ودوراً كالمصابيح حفّها الديجورُ
عالم من زبرجدٍ طاف بالدُّ رِّ وأذكاه بالرُّواء النور
ساحرُ المجتلَى أطلَّ عليـهِ (قاسيون) كأنه مذعورُ
يغرَقُ الحسُّ فى سناهُ ويفنىَ فى تهاويل سحرِه التفكيرُ

* * *

أنا إن أنسَ لستُ أنسى لياليَّ (م) إذِ البدر ضاحكٌ والثغورُ
وكأنَّ الأكوانَ في دافق النّو رِ بحورٌ قد أغرقتْها بحورُ!
يمرحُ القلبُ فى سناها كما يمـــرحُ فى الماء سابحاً عصفورُ
قد تفرّدْنَ بالصّباحةِ لولا وَجَناتٌ نازعْنها ونحور!

* * *

حبذا (الشامُ): ماؤها وهواها ومسارى أنهارها والقصورُ
وميادين حسنها وهى شتّى ومغانى اللذاتِ وهى كثيرُ
جادها الغيثُ من معاهدَ لا اللطـــفُ عداها ولا النعيمُ الوفيرُ
محسنات الأوقات حتى ضحاها وشحته بلطفهنّ البكور
وبنفسى هديرُ أنهارها السبـــعةِ دوّامةً عليها الطيور
تتلوّى كالأيْنِ ريعَ وتهتـــزُّ ارتعاشاً وترتمى وتمور
وهى آناً في السهل تعدو وآناً فى الروابى المسلسلات تغيرُ
تغمرُ (الغوطتين) بشراً وزهواً مثلما يغمرُ النفوسَ الحبورُ
وغدتْ فوقها الطيورُ تغنّى ربما يطرب الطيورَ الخريرُ
عشقتْ لحنها، وللطير لحنٌ يُسكرُ السمعَ جرسُهُ المخمورُ
حيث تغدو يلهيك منها سماعٌ ومن الروض مونقٌ منضورُ
عرسٌ قام للطبيعة فيهـــا يستخفُّ الإنسانَ وهو وقورُ
تهزجُ الطيرُ والأناسيُّ فيه ويمور السّنا ويذكو العبيرُ

* * *

قفْ تمتّعْ مما تراه قليلاً وقليلٌ مما تراه كثير:
للأنوف الشذا أريجاً، وللسمـــع الأغانى، وللحاظ البدور!

«بغداد» محمد بهجة الأثرى

باقة غزل من شعر الصبا

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

يا أيها الخاذل النائى بجفوته
خلّفتَ فى العيش سحر المنظر البهج
خلعت حسناً على عيش كما خلعت
شمس الغروب على الآفاق من وهج

* * *

فرصُ الحيـــاة قليلة فالى م صدك يا حبيبى
بينـــا جمالك يانع فينان كالغصن الرطيب
إذ لا جمال ولا صبا يصبى القلوب إلى الوجيب
والعيش خلد فى الشبا ب فإن دنوتَ من المشيب
أحسست إقبال الردى كخشوع قلبك فى المغيب
فترى الحياة قصيرة كتلألؤ البرق الخلوب
وإذا الحياة كنغبة الـــعصفور روّع بالرقيب
متلفتاً يحسو ويخـــشى أن يفاجأ من قريب
بينـــا تراه على الغديـــر تراه فى الأفق الرحيب

* * *

خلّفتَ فى القلب يا معذبه ما خلّفتْ نغمةٌ من الجرسِ
ذكراك فى نفس منصت يقظٍ ذكرى غناء فى الأذنِ كالهمس
كأنما القلب نحوكم أبدا لينوفرٌ دائرٌ مع الشمس

* * *

كنت روضى والعيش صيفٌ وفىٌّ حافل بالنعيم والآلاء
فلئنْ عادت الحياة شتاءً أنت فيها كزهرة فى الشتاء
فهى محبوبةٌ وأندادها كُثْـــرٌ ومحبوبةٌ بقفرٍ عراءِ
وهى أشهى إلى النفوس وأحلى لافتقاد الأنداد والأكفاء

* * *

أعِرِ البدر طلعتكْ علّمِ النجم نظرتكْ
وامنح الصيف من روا ئك والزهر نضرتك
وهب الطير شدو صو تك والفجر غرتك

وإذا ما هفا النسيم فعلمه خطرتك
امنح الكون نشوتك علِّمْ السحر قدرتك

* * *

أرى الزهر غضاً يانعاً طلّهُ الندى مَلِيًّا بأن يشجو ظِماءَ النواظر
فأحسبه دمعاً لذكرى غرامنا وأنفاس أيام اللقاء الغوابر
أتذكر وعداً باللقاء بذلته بمجتمع الأطيار بين الأزاهر
وليلا طرقناه سميرين فى الدجا كما جال سر الوحى بين السرائر
طرقتك يا ليل اللقاء فرقتنى بلذات حب كالنجوم الزواهر

* * *

يا زائري أعبقت منك محاسناً كالزهر يترك نفحة المرتاد
أخصبت تربة أنفسٍ ظمآنة شامت سناك فكان خير عهاد
وأفضت شؤبوب المحاسن والنهى
طيباً على المهجات والأكباد
يا زورة كالعيد إلا أنها جَلّتْ عن الفرحات والأعياد
يا ليت أن النفس درة غائص أهديك من نفسى أعز عتاد

* * *

أنت عنوان لما أنشده فى الخطرات
كل كون كان أو لم يك من ماضٍ وآت
فيك لى منه أمانى النفوس الساميات
أنت فى الدهر ابتسام كابتسام الزهرات
ليت لي منك ائتلافاً كائتلاف النغمات

* * *

قد قلتُ للحب لا تعتب على سَكَنِي
لنبوة منه فى أيامك الاخَرِ
كم لى وكم لك من يوم لنا بَهِجٍ بطلعة منه تحكي طلعة القمر
إنْ يَجْفُ قلبك كالأثمار يانعةً ودون ذلك يُبْسٌ من نوى الثمر
فارجم بقلبك قلباً أنت مالكه فإن قلبك مثل الماس فى الحجر

* * *

البدر يكسو الأشياء حُلّتَهُ وَشْيٌ من السحر حاكه القمر
فاكْسُ بأنوارك الورى حُلَلاً كى لا يبين الشقاء والعُسُرُ
يا شمس حسن حياتنا ثمر ينضج فى ضوء حسنك الثمر
أشعل بألحاظك الحياة فإ ن الصخر إمّا رمقته دُرَرُ
عَطِّرْتَ بُرْدَ الحياة قاطبة فكل شيء لمسته زهر

* * *

عيناك عيناك منبت الذكَرِ كالزهر فى قاع رائق الغُدُرِ
فنعسة الطرف أنه أبدا كذاهل قد أصاخ للفِكَرِ
هل نعسة فى لواحظ حُلُمٌ بعالم الحسن طيب الخبرِ
بعالم أنت من بشائره بشرى طيور الربيع بالزهَرِ
عيناك من لمحة الزواهر أم مقبوسة الضوء من سنا القمر
أم من غدير الحياة حَفَّ به من هُدْبِ جفنيك باسق الشجرِ

* * *

فياليت لى من صخر قلبك آلة فاتلو عليها نَغْمَةً أى نغمة
يئن أنين العود من شجو ضارب فَيُسْعِدُ قلبى فى حنين وأنة

* * *

ياحسن من لى بسحر أتقيك به فالحسن يسحرنا والسحر يرقينا
ياحسن هل أنت ناسٍ ليلة سلفت طاف الغرام بها ياحسن يسقينا
كأننا نَغْمَةٌ فى الليل سارية تهفو والليل أُذْنٌ فيه تبغينا
ورق فيه أديم البدر مؤتلقاً حتى كأن سناه من تصافينا
وبت ألحظكم طوراً وألحظه وفوق وجهك ضوء البدر يشجينا
ياحسن لا تحسبن البدر يشغلنا ياحسن لولاك ما ابيضّت ليالينا

* * *

ياعين من أهوى رعاك الكرى فليلتى منكِ ليال طوالْ
عودى بلحظ صادق ضوءه يجلو دجا العيش وليل الخبال
ياطاقة أبصر منها النعيم فى جنة الخلد وريف الظلال
عودى بلحظ أحتسى خمره فالكوثر العذب شهيُّ المنال
ولا يلن برقك لى خُلَّباً أهكذا حَظِّيَ آلٌ فآلْ

* * *

صنم الملاحة والرشا قة واللذاذة والألم
ناجيت قلبك كى يرق (م) فما أحس ولا رحم
يقسو فؤادك يا صَنَمْ أو ليس من حجر أصم

عبد الرحمن شكرى



توحيد التعليم فى المدارس المدنية والدينية

أخذ صاحب المعالى وزير المعارف يدرس برامج التعليم فى المدارس المدنية والدينية ، بقسميها الابتدائى والثانوى ، قاصداً بذلك إلى وضع برامج يشترك فيها التعليم المدنى والتعليم الدينى

وقد كتب معالى الوزير إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر يستطلع رأيه فى هذا الصدد ، تمهيداً لانتخاب لجنة من رجال المعارف والأزهر ، يعهد إليها وضع البرامج الملائمة . والغرض من تحقيق هذه الفكرة إيجاد التقارب بين عقول المتعلمين وخلق جيل جديد متفاهم ، لا تشعر جماعاته بفوارق بينها ، ولا تتعصب فيه كل طائفة لنفسها ، وبهذا تتفادى أسباب النفرة بين الجماعات المختلفة

إلى الأستاذ فليكس فارس

جاء فى العدد ١٦٦ من الرسالة الغراء فى مقال الأستاذ الكبير (نهضة المرأة المصرية وكيف توجه للخير العام) ما يلى :

« لا ينهض بالشرق إلا حضارة شرقية تستمد نظمها من المبادئ الأدبية العليا التى أنزلت وحياً على رسله وأنبيائه ، وإلهاماً على فلاسفته وشعرائه »

وقد قامت اليوم دعوة تدحض هذه النظرية . وقد نشر فى الأهرام قريباً مقال عنوانه (هل يوجد اليوم شرق ؟) للأستاذ توفيق الحكيم وقد استشهد الكاتب فى هذا المقال بحديث نقله من كتابه الحديث (عصفور من الشرق) يدور بين رومى ومصرى

فإلى الأستاذ فليكس فارس الذى قال بأن الشرق لا ينهض إلا بحضارة شرقية أطلب أن ينفحنا برأيه ويدلنا على جواب شاف عما إذا لم يزل الشرق شرقاً والغرب غرباً ؟ وهل فى الامكان تلقيح الشرق بحضارة غربية ؟ وهل فى الامكان أن يلتقى الشرق مع الغرب ؟ وأى الحضارتين أفضل — إن كانت هناك حضارتان شرقية وغربية — الأولى أم الثانية ؟

إن قراء الأستاذ المعجبين بصدق آرائه وصواب نظرياته وصحة حججه ليرجون أن يرويهم بحديثه العذب وأدبه الفياض

عبد العزيز عبد الكريم

عصيون جابر لا أزيونجيبر

جاء فى العدد الفائت من الرسالة الزاهرة فى البريد الأدبى ما يأتى

« إن الأثريين الأمريكيين الباحثين قرب شاطئ البحر اكتشفوا آثار مرفأ كان زاهراً هناك حوالى ألف سنة إلى ثمانمائة سنة قبل المسيح ! أما المدينة المكتشفة آثارها فهى أزيونجيبر التى يدعوها العرب تل الخليفة ! »

وهذا كلام لا غبار عليه ، والاستكشاف حق ، والمدينة أثرية تضرب فى أعماق الدهر بتاريخ مجيد ، ولكن لفظها العبرانى السامى قد تناولته أقلام المترجمين بالتحريف والتغيير

فقد جاء فى الاصحاح التاسع عدد ٢٦ من سفر الملوك الأول من التوراة ما يأتى بالنص العبرى : « ڤآنى عاشا همِّلخ شلموه بعصيون جابر إشر أتْ ألوُت علْ شفة يَمْ سوُف بأرص أدوم » وترجمة ذلك : « وصنع الملك سليمان سفناً فى عصيون جابر التى تقع على شفة (شاطئ) بحر (سوف) بأرض أدوم

فالتوراة هنا حددت موقعها ، وجاء الاستكشاف مصداقاً لهذا التحديد ؛ وبحر سوف الوارد ذكره فى الآية هو البحر الأحمر ، ومعنى هذا « الهلاك » فى اللغة العبرية ، ولعله يشير إلى هلاك فرعون وجنوده عند ما اتبع سيدنا موسى فسمى لدى العبرانيين بهذا الحدث فى التاريخ والله أعلم !

أما عصيون جابر المدينة المستكشفة ، فقد ذكرت فى مواضع عدة من سفر الملوك بهذا اللفظ العبرانى الأصيل ، وهى من أعظم

الموانى الواقعة على خليج العقبة فى ذلك الزمان بأرض الآدوميين إذ كانت فى أيام سليمان عليه السلام مركزاً ممتازاً لتجارة الأعواد والأطياب والذهب الوارد من أوفيرا فى مملكة سبأ بالجنوب

« دار العلوم » محمد عبد الله العمودى

تبسيط قواعد النحو وطريقة الكتابة العربية

تشتغل وزارة المعارف بجمع المقترحات والبيانات المختلفة التى تتلقاها الآن عن المشروعين الخاصين بتبسيط قواعد النحو وطريقة الكتابة العربية

وتنوي الوزارة قبل اتخاذ قرار نهائى في هاتين المسألتين الاستئناس بآراء مجمع اللغة والمستشرقين

وينتظر أن يطول الزمن بهذين المشروعين نظراً لخطورتهما وصعوبة الوصول إلى الغاية التى تقصد إليها الوزارة

وقد يكون المشروع الأول أسهل من الثانى . ومهما يكن من أمرهما فان الاتجاه يذهب إلى تبسيط النحو فى المدارس المصرية ابتداء من العام الدراسي القادم حتى ترتفع شكاية الأساتذة من ضعف التلاميذ

جبران والرمزية

قرأت فى مجلة الرسالة الغراء فى العدد ٢٥١ مقالا للأستاذ بشر فارس ألمع فى هامشه إلى أن الكاتب الرسام جبران خليل جبران قد سار على نهج الشاعر الانجليزى وليم بليك Wiliam Blake فى رمزيته

وإنه لمن المعروف عن جبران أنه لم يكن رمزياً بالمعنى الدقيق الذى يفهم من هذا اللفظ ، بل كان أكثر ميلاً إلى الرومانتيكية منه إلى الرمزية ، وكثيراً ما كان يمزج بينهما فى كتاباته ، وعلى الأخص فى كتابيه النبي ويسوع ابن الآفاق . أما فى رسومه فقد كانت الرمزية غالبة فيها

والملاحظ فى الشاعر « بليك » أنه كان غامضاً مسرفاً فى الغموض والابهام لدرجة يتعذر معها الفهم والغوص على المعنى الذى يريده والفكرة التى يقصد إليها ، مهما أجهد القارئ عقله . فأنت إذ تقرأ ديوانيه أغانى الطهارة Songs of Innocence والاختبار Experience يبهرك ضوء قوى من الجمال ، ولكن أنى لك أن تعرف سر هذا الضياء وما الذي يبهرك من حسنه ؛ وقصاراك أن تستشعر كثيراً من اللذة المعنوية فى هذا الغموض وجماله .

وما كان جبران على هذا النهج فى الغموض والاسراف فيه . وقليلاً ما نعثر على قطعة كتابية حاكى فيها الشاعر الانجليزى الغامض . فهل للأستاذ بشر فارس — إذا تفضل — أن يفصح عما إذا كان الغموض والابهام من مستلزمات الرمزية ؟ وهل بدونهما لا تكون؟ وله وافر الشكر على غزير علمه والسلام

السيد كامل الشرقاوى
المفتش بوزارة المالية

العيد الألفى للجامعة الأزهرية

كان مجلس الوزراء قد قرر فى عهد المغفور له توفيق نسيم باشا تأليف لجنة لتنظيم المسائل الادارية والتاريخية الخاصة بالاحتفال بالعيد الألفى للجامعة الازهرية ، وهو الاحتفال الذي سيقام فى سنة ١٣٦٠ هجرية . وقد باشرت هذه اللجنة مهمتها بضعة أسابيع ثم أرجأت أعمالها بعد ذلك

وقد علمنا أن إدارة المعاهد الدينية تشتغل فى هذه الأيام بوضع مشروع جديد لإقامة مهرجان إسلامى كبير يليق بتاريخ أقدم جامعة إسلامية ، على أن يشترك العالم الاسلامى فيه

وسيعرض هذا المشروع بعد الفراغ منه على مجلس الوزراء للموافقة عليه واعتماد المبالغ الخاصة بتنفيذه

والمفهوم أن الرأى مستقر على توجيه الدعوة الى مختلف الجامعات العلمية الأوربية التى دعت الأزهر إلى الاشتراك فى حفلاتها

بين الرافعى والعقاد

فى هذه الصفحة من عدد (الرسالة) الغراء رقم ٢٥٥ قرأت دفاعاً كتبه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى عن بيت العقاد :

فيك منى ومن الناس ومن   كل موجود وموعود تؤام

ولست أريد أن أتناول البيت من نواحى ضعفه ليرى سيدى أن البيت يتداعى من أى ناحية أتمته ، ولكنى أريد أن أشير إلى آخر ما جاء فى كلمته حيث قال :

« ولا بد أن نشير بعد هذا إلى أن كل شيء فى هذا الكون

لا يخلو من حسن يسوغ إجراء بيت العقاد على عمومه ، وقد ذهب إلى هذا بعض العلماء فى تفسير قوله تعالى : (الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) قال العلامة الزمخشرى : إنه ما من شىء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة ، وأوجبته المصلحة ، فجميع المخلوقات حسنة ... »

وهى التفاتة جميلة حقًّا لولا أن قول الزمخشرى رحمه الله قد ضمّ على تفسير لا يضل فيه رأي . ولسنا ننكر أن كل شىء مرتب على ما اقتضته الحكمة ، وهذا معناه الدقة فى الصنع والاحكام . وإن الانسان يدرس علوم النبات والحيوان ليرى فى بعض ما خلق الله ما يحير الألباب ، وهذه هى دقة الصنعة وجمال الخلق . وهذا هو مذهب الفلاسفة الذين يرون كل شىء جميلاً ...

أما الجمال الذى يجذب القلب ويأسر الفؤاد ، فأين تجده — يا سيدى — فى الدودة وفى الذبابة وفى ... وفى ... مما تشمئز النفس ويعافه الذوق وهى فى تمام التكوين وبراعة الخلقة

وإذا كان بيت العقاد هو على مذهب الفلاسفة — كما يقول الأستاذ الصعيدى — أعنى على مذهب التشريح ، فلعل الحبيبة كانت عالماً صغيراً فيه ... وفيه ... مما ذكره الأستاذ الرافعىّ — رحمه الله —

ولا زلت أصر على أن الشعر الفلسفى ليس شعراً إلا على مذهب ألفية ابن مالك

كامل محمود حبيب

وسام فرنسى للأستاذ توفيق الحكيم

منحت الحكومة الفرنسية الأستاذ توفيق الحكيم وسام « أوفيسيه دا كاديمي » . وقد أوفد المسيو دى فيتاس وزير فرنسا المفوض بمصر مسيو ليبريت لتقديم براءة هذا الوسام إلى الأستاذ الحكيم مع كتاب رقيق ذكر فيه النجاح الكبير الذى لقيته ترجمة « شهر زاد » و « عودة الروح » لدى الجمهور الفرنسى ، ونوه بتقديره الشخصى للكاتب الذى يعده من خيرة كتاب مصر البارزين، وشفع ذلك بأصدق تهنئاته

ذلك ما يلقاه أدباؤنا فى غير مصر . أما فى مصر فقد أرادت وزارة المعارف أن تشترى مقداراً من بعض كتب الأستاذ الحكيم جرياً على عادتها فى تشجيع الأدب من هذه الطريق ، فطلبت منه تسمين نسخة ! ! بثمن حددته لا يكاد يبلغ نفقة الطبع ، فلم يسعه إلا أن يرفض شاكراً لها حسن نيتها على كل حال !

بين أبى العلاء والخيام

كتب صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام مقالا تحليلياً فيما بين أبى العلاء وعمر الخيام من النظر المشترك فى بعض وجوه الفكر نشرته الهلال فى عددها الخاص بالمعرى الذى سيصدر فى أول يونيه ، ولكن وقع فيه من التقديم والتأخير والتحريف ما أخل بسياقه وشوه من معانيه ، فرأى الأستاذ أن يعيد نشره فى عدد الرسالة القادم

مكافحة الأمية

قدم صاحب المعالى وزير المعارف إلى صاحب المقام الرفيع وزير المالية مذكرة عن مكافحة الأمية ، عرض فيها للمشروعات المختلفة التى وضعها فى هذا الشأن وزراء المعارف السابقون منذ عام ١٩١٧ إذ كان صاحب الدولة المغفور له عدلى يكن باشا وزيراً للمعارف إلى عام ١٩٣٧

وقد ألمت المذكرة إلى أن المشروع الذى وضع فى العام الماضى يتطلب تنفيذه خمسة وعشرين عاماً ، بينما كان مشروع عدلى باشا يتطلب عشر سنوات فقط

وبعد أن بسط معالى الوزير الأسباب الداعية إلى القضاء على الأمية ، أخذ يشرح مشروعه الذى وضعه للقضاء عليها فى مدى خمس سنوات ، وقد قرر فيه أن يبدأ تعميم التعليم الالزامى فى المحافظات وعواصم المديريات والمراكز ، فالقرى الكبرى والصغرى فالكفور والعزب

ثم طلب إلى وزارة المالية ، فتح اعتماد قدره ١٥٠٠٠٦ ج فى الميزانية الجديدة . وهى النفقات اللازمة لانشاء ٤٠٠ مكتب

وعلى أثر اعتماد هذا المال ، تأخذ وزارة المعارف فى فتح هذه المكاتب ، للعمل فيها ابتداء من العام الدراسى المقبل

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧